

## تصوّر الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتوري

د. حسين يوسف حسين الأحمد  
جامعة الموصل / كلية الآداب  
Husseinyousif@gmail.com

### ملخص البحث:

تناول هذا البحث كتابات الرحالة البريطانيين الذين أسهموا في استكشاف البلدان الشرقية التي زاروها أو التي عاشوا فيها. ووصفوا من خلالها طريقة حياة الشرقيين وطبيعة نظمهم وثقافتهم وعاداتهم وجغرافية بلدانهم، ثم أثرت رؤيتهم على الفكر والثقافة الأوروبية. وأسهمت وجهات نظرهم في تقديم الشرق للقراء الغربيين. وأبرز تلك الشخصيات بيرتون وليارد ودوتي وغيرها.

عالج البحث دوافع أولئك الرحالة حيث كان بعضها تبشيرية، وبعضها في سبيل المغامرة، ومنها ما كان في سبيل البحث عن الرومانسية. هذا بجانب البحث العلمي، فضلا عن الغرض السياسي.

وكل هذا ساعد في تشكيل صورة الشرق التي أثرت في الثقافة الأوروبية لفترة طويلة وشكلت تصورات الغرب الأوروبي عن الشرق الإسلامي والعربي على الخصوص.



## The image of east, in the writings of British travelers, during the Victorian period

Dr. Husain yousif Husain Al- Ahmad

University of Musol  
College of Arts

### Abstract

This paper deals with the writing of the British Travelers that participated in the exploring the countries they visited or which they have dwelled in.

They described their way of life, then their vision affected the European thought and culture. Their views influenced in the presenting the east to the western readers. The most prominent figures are Burton, Layard, Doughty and other.

The paper treated the motive of those travelers of missionary, one way and love for adventure on the other hand, as well as, looking for romanticism beside scientific search and the political purpose. All these helped in forming the image of east that dealt with the European culture for along time.

### المقدمة

أدب الرحلات من الآداب القديمة المستمرة حتى يومنا هذا؛ وعده بعض النقاد جنساً أدبياً قائماً بذاته؛ لما يتمتع به من خصائص فنية ومضامين تتيح له مكاناً متقدراً بين الأجناس الأدبية الأخرى؛ نظراً لما فيه من تنوع ثقافي وتقلد بين حضارات وثقافات مختلفة؛ فهو لا يعبر عن واقع محلي؛ بل يتناول الآخر، ويقدم عنه بعداً معرفياً وثقافياً لا نجده في الأجناس الأدبية الأخرى. والثقافة العربية تميزت بكثرة الرحلات، وقدمت مادة ثرية في اكتشاف البلدان التي زارها الرحالة أو أقاموا فيها، وكشفوا عن طبائع أهلها وأحوالهم؛ كما فعل ابن جبير وابن بطوطة وابن فضلان والبيروني وآخرون سواهم.

ويقع أدب الرحلات ضمن فنون الأدب العربي؛ لما في كتابات الرحالة من خصائص متميزة وأسلوب قصصي أحياناً. ومادة الرحلات زخرت بعناصر فنية مشوقة. وقد درج الكتاب العرب على استخدام عبارة أدب الرحلات للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين.

أما في أوروبا فقد تنامي فن كتابة الرحلات منذ القرن الثامن عشر؛ حيث كثرت الرحلات إلى بلاد الشرق، واتسع أفق الرحالة في وصفهم الشعوب والبلدان التي زاروها واطلعوا على عاداتها وتقاليدها، ووصفوا أماكنها ومناظرها وما فيها من آثار، وما سادها من نظم مختلفة.

وحين يدرس الناقد أدب الرحلة يسعى إلى تحليل البناءات الخطابية في امتداداتها الأفقية والعمودية، إذ هو يحتوي على ميزة فريدة من مثل الغيرية والهوية والمحمولات الثقافية في النص الرحلي. ونصوص الرحالة غالباً ما تكون منفتحة بأفق مختلفة في مستويات دلالية وجمالية متنوعة، لكنها تعمل بالتالي على رسم صورةٍ للآخر؛ يتم نقلها إلى ذهن القارئ؛ فتلقي عليه بتقلها ودلالاتها، ومن هنا يكون لأدب الرحلات أهمية وخطورة تستدعي التحليل والاستبطان.

انقل تصور الشرق إلى ذهن الأوربي عبر تخيلات وتصورات الرحالة بحسب ثقافتهم وبتأثير العوامل التاريخية والسياسية التي شهدوها، والتي أثرت على نسق كتاباتهم، لذلك قدمت أعمالهم وثائق وحقائق ومعلومات غنية ومفيدة لكنها متباينة المستوى والهدف، ومنها ما تشرّبت بمواقف سياسية وأيديولوجية، ومنها ما دخلها الكثير من المبالغات والمغالطات أو سوء الفهم أحياناً. وقسم منها أتى بدافع اكتشاف الشرق طلباً للغرائبية والمتعة، وسد ثغرات في الثقافة الأوربية وعموم الفكر فيها؛ ومثال ذلك ما تركته الرحلات إلى الشرق من أثر كبير في نشوء النزعة الرومانسية في الفن والأدب.

ومن هنا تأتي أهمية الكشف عن طبيعة تلك الرحلات، وفقاً لكل مدة زمنية مرت بها، ومن ذلك ما قدّمه الرحالة الإنكليز في العصر الفكتوري. والرحلات في ذلك العصر كان لها ميزات وحمولات عميقة الغور؛ تفصح عن رؤية الآخر ومواقفه المختلفة؛ فضلاً عن المعلومات التي قدّمها؛ في زمن كانت الكتابات التاريخية والاجتماعية وحتى السياسية تكاد تتعدم تماماً في الشرق.

والبحث يحاول الكشف عن ذلك التصور وتتبع مقاصده وأغراضه؛ بغية الاستفادة منه في معرفة كيفية اشتغال الصورة التي رسمها الرحال الأوربي عن الشرق، هذا الاشتغال الذي ترتبت عليه تغيرات تاريخية وسياسية خطيرة.

#### ١ - الكتابة وسلطات الخطاب:

من المفيد أن يقدم البحث ملاحظاتٍ عن أثر الخطاب في تشكيل التصور في الذهن؛ بما يشبه السلطة التي نفوذ وقوة. وتعد الكتابة من أخطر الأدوات التي اكتشفها الإنسان، وبمعزلٍ عن معطياتها في نقل الأفكار والعواطف؛ وعن كونها وسيلةً للتفاهم وتطوير العلوم؛ ففيها عنصرٌ آخر جدٌ خطير؛ يعمل على توليد (التصورات)؛ ونقلها إلى أذهان الآخرين. وغالبا ما يواكب نقل التصورات اشتغال الإرادة في الهيمنة على الآخر؛ عبر الكتابة التي يحرص صاحبها على تحصينها بمقدماتٍ منطقية، أو حججٍ دينية أو عقلية؛ وبحسب النمط الساري في البيئة الثقافية التي يعيش في كنفها.

وفي الفكر الإنساني بعامه بقيت هذه المسألة مهمة نسبيا؛ حتى في نظريات المعرفة؛ بسبب القداسة التي حامت حول العقل (اللوجوس)؛ بوصفه المرجع في تحصيل العلوم والخبرات. لكن لاحقا تنبه الكثير من المفكرين على خطورة الفيلولوجيا (أو التشكيل النصوي) للحياة عبر الكتابة. أي أن منهم من ثار على قداسة العقل، وحاول محاكمة الخطاب محاكمة منهجية؛ وهذا اقتضى محاكمة اللغة والكشف عن كيفية اشتغالها، وتبيان أثرها السلبي في تشكيل التصورات.

ومن هنا كتب فريدريك نيتشه في كتابه (مولد التراجيديا) عن أفلاطون: أنه كان يسعى إلى إثبات أن العالم والشاعر على طرفي نقيض، وكان مثله الجمالي هو أن كل شيء يجب أن يكون عقلانيا؛ قبل أن يكون جميلا، وهذا نظير مقولة سقراط "إن الأشياء يجب أن تكون عاقلة حتى تكون جميلة"<sup>(١)</sup>؛ فوجه نيتشه في كتابه هذا نقودا قاسية على النسق الذي يحكم الفلسفة المدرسية المتمثلة بسقراط وأفلاطون. ومن ثم راح يركز في كتابه (أصل الأخلاق وفصلها) على تفكيك دلالات اللغة؛ للكشف عن اشتغالها الضمني في أصقاع المضامين المسكوت عنها.

وفي العصر الحديث توالفت هذه النزعة بصيغٍ مختلفة، وأكثر ما ظهرت لدى فوكو في مجال حفريات اللغة؛ ثم فيما طرحه ادوارد سعيد في محاكماته لخطابات المستشرقين.

طرح فوكو تخصص آركيولوجيا المعرفة؛ ليبحت في مناهج المعارف، ... كما يبحث في النسق المستتر وراء المفاهيم والتصورات<sup>(٢)</sup>، وقد أفاض في تحليل آلية اشتغال الخطاب؛ لكنه نفى أن يكون الخطاب موقعا تقتحمه الذات الخالصة؛ بل هو فضاء لمواقع وأنشطة متباينة للذوات. إنه فضاء

لانتشار والتواتر والتوزع؛ مما يجعله مسرحاً للاستثمار<sup>(٣)</sup>. كذلك الاستثمار الذي كان يستثمره الاستعمار وأنماط معينة من الاستشراق.

والذات المستثمرة للخطاب قد تكون ذاتاً مفردة؛ وقد تكون جمعية، وهنا ندخل في طور مفاده: أن النظام المعرفي تراكمي؛ قد تنشئه العقول أول مرة؛ لكنه سرعان ما ينقلب عليها ويستعمرها، ثم يصنع النظام خطاباً يوجه العقول ويسيرها على وفق القواعد التي تأسس عليها.

وتصور فوكو هذا ينطلق من رؤية مفادها: " أن الذات ليست معطىً بذئياً يتكامل بصورة متصاعدة - عبر عملية وعي استراتيجي مستمر داخل التاريخ - بل هناك أشكالاً مختلفة للعلاقة بالذات يُنشئها الفرد؛ ليدرك نفسه من خلالها ك ذات"<sup>(٤)</sup>.

ويفيد التحري عن دلالات الخطاب في " فهم الكيفية التي تمكنت بها إرادة السلطة في المجتمع من اكتشاف طريقة لإكساء نفسها؛ وتدثيرها بدثار عقلائي، وهذه اللغة في بساطتها وسطوتها وجزمها، هي ما دعاه فوكو بالخطاب Discourse الذي متى جبر لصالح منهج ما؛ تحول إلى ممارسة قمعية. "والقمع ليس مجرد منع؛ بل إقصاء وإسكات ما يجب قمعه؛ في لحظة ظهوره. إنه يعمل على وفق آلية ثلاثية: التحريم والتغيب والصمت"<sup>(٥)</sup>.

ويرى فوكو أن "الخطاب صار محجوباً عن الأنظار، وأنه بدأ يتقنع ليظهر مجرد كتابة أو نصوص، وأخفى المنهجية المتعلقة بتشكّله وبعلاقاته الحميمة بالسلطة"<sup>(٦)</sup>.

ويكمن سر التخفي في الخطاب عبر تعبيره عن مصلحة النسق الثقافي المهيمن؛ والذي قد يكون معتقدات أو قوانين أو فلسفات أو قيما؛ أو حتى أعرافاً؛ تمكنت من الهيمنة على الوعي، وانتخبت لها مسوغات ولغة خاصة بها.

أما لدى سعيد فقد تطوّر الحال لتتحول القضية إلى البحث في الآخر؛ الذي تصنّفه النصوص الغربية تصنيفات مغايرة عما تقتضيه الحقيقة.

وإذا كانت كتابات سعيد تشبه كتابات فوكو بشأن العلاقة بين المعرفة والسلطة؛ فإنه رأى خطاب ال رجاله والمستشرقين بمنزلة "السردية التي اعتمدت عليها الامبريالية في بناء تصوّرها عن الآخر"<sup>(٨)</sup> الشرقي، ومعنى هذا أن النزعة الاستعمارية ( الكولونيالية) ثابته حتى في عقول مجتمعات ما بعد حقبة الاستعمار.

وتجدُر الإشارةُ إلى أنَّ الغالب على معنى الشرق في الذهن الغربي ينصبُّ على الشرق العربي والإسلامي، وهذا ما حدا بـ رودنسون إلى القول: "وأما نحن المستشرقون فننظر باتجاه الثقافات التي يظهر فيها العنصر الشرقي بأنَّ تعبيره، أي باتجاه الثقافات القومية الصافية .. باتجاه الإسلام مثلاً"<sup>(٩)</sup>.

ثم يتوسع قائلاً: " أعني بالمستشرقين أولئك الذين يدرسون الشرق الأدنى؛ إذ أنَّ فكر الهند والصين فكرٌ ذو أهمية؛ لمعرفة طبيعة الذهن الذي شكلها؛ لكنه ليس ذا صلة حيوية بنا"<sup>(١٠)</sup>. والذي يميز دراسات الغرب عن الشرق الإسلامي بعُدها النفسي والديني وحمولاتها التاريخية القديمة؛ في حين يختلف هذا الشرق في تصوره عن الغرب بخلوه من الرواسب التاريخية الاعتقادية نسبيًا. "ولكن قد يتم إضافتها إلى الشرق التقليدي؛ بسبب المصالح التي تشكلها تلك المناطق الشرقية الأخرى"<sup>(١١)</sup>.

إن تنوع المؤثرات بخصوص التصور الأوربي عن الشرق واختلافها وتطورها النوعي والزمني وحتى بنيتها ومستواها جعلت تتبعها أمرًا معقدًا. فالتحول من الآخر العرقي إلى الآخر الديني ثم إلى الآخر الرومانسي يصنعه المخيال الأوربي أخذ حيزًا من الزمن. وسيقدم البحث تباعًا وجهات نظر ومعلومات عن تلك التطورات لنفهم كيفية اشتغال المخيال الأوربي عن الآخر الشرقي.

كانت المعلومات عن الشرق قد جرى تحويلها إلى أوربا "على أيدي الإرساليات التبشيرية والتجار والرسامين والرحالة؛ فهو في جوهره "عالم نصي، وبنية أوربية اختلقها أصحابها خدمة لمتطلبات أوربية معينة. والغرض من بناء مثل هذه الصورة تأسيس آخر ذي دلالة؛ يتم لأوربا عن طريقها تحديد هويتها الخاصة، ومن ثمَّ تأكيد تفوقها وحققها في الحكم والتسيّد"<sup>(١٢)</sup>.

والملاحظ أنَّ " جانبًا كبيرًا من الخلفية التاريخية التي تطوّرت على أساسها التصورات الأوربية عن الشرق كانت تمنع نموّ مشاعر الألفة مع الشرق؛ لاسيما على المستوى الشعبي الذي يشتقّ مواقفه من الأثر الذي تتركه نصوص الأدباء والمستشرقين، ... ونجد الاتجاه العام للجماهير وللتجار والسياسيين الاستعماريين أقرب ما يكون إلى المزيج بين الاستعلاء القومي والازدراء العنصري. ويمثل الشرق - بحسب هذا المنظور - ملاذ الغرب؛ للهرب من آلامه؛ حتى وإنَّ بدا شرقًا غير واقعي وزائلا، فهو (للغربي) مجال للتطلع إلى حالة من الوجود خارج الزمان"<sup>(١٣)</sup>.

لذلك وطبقًا لهذا التصور الأقرب إلى التحليل النفسي للذهنية الأوربية والاشتغال التصوري فيها " نرى هذا جلياً في الأدب الاستشراقي الأكثر شيوعاً من مثل القصص الخيالي وأدب الرحلات على أوسع

نطاق، والذي بدأ ينتشر منذ القرن السابع عشر وما بعده<sup>(١٤)</sup>؛ فضلا عما خلفه الرسامون الذي صوّروا الشرق عبر مئات اللوحات المستمدة من واقع المجتمع فعلا؛ وأخرى مشتقة استوحوها من نصوص الرحالة والمستشرقين، ثم أضفوا عليها من أخيلتهم طابع السحر الرومانسي والافتازيا. لكن كيف تشكلت هذه الرؤية تاريخيا في ذهن الغربي؛ وهل أتت النصوص التي صوّرت الشرق من لا شيء؛ أم هناك عناصر سابقة كانت أساس الاشتقاق التصوري الذي دفع الخيال الغربي إلى الاشتغال في مجال تصنيع شرق (فيلولوجي) نصوصي راح يتكرر ويستنسخ نفسه؟. والواقع فإن الصورة عن الشرق غالبا ما أتت سلبية ومشحونة بتأثيرات ودوافع عقيدية وسياسية إلا أنها كانت في أزمان الارتفاع الحضاري للمسلمين أقل شراسة وتشويها، وليست فيها نزعة دونية على الرغم من الهاجس العدائي فيها. وبمعزل عن الجانب الديني كان الانبهار بعناصر الحضارة الشرقية مانعا من الشطط في تصوير الشرق تصويراً دونياً؛ كالذي حصل إبان دخول العالم الإسلامي في فترات التراجع الحضاري والعمرائي.

وفي العصر الأندلسي مثلا كانت القضية معكوسة حيث أعادت حضارة الأندلسيين صياغة معادلة تبين مكانة الشرقيين وحضورهم في حركة التاريخ الحضاري للإنسان. ولقد " أدى اختلاط التأثيرات الإسلامية والمسيحية واليهودية في أسبانيا تحت الحكم الإسلامي إلى قيام ثقافة مزدهرة ليس لها نظير في أي مكان آخر في أوروبا. ومن هنا كتب پول الفاروس Paul Alvarus شاكياً من الجاذبية القوية التي مارستها الثقافة العربية على المسيحيين الأسبان قائلًا:

"يحب المسيحيون قراءة أشعار العرب وقصصهم؛ ويدرسون أعمال الفقهاء والفلاسفة العرب، لا ليفندوها بل ليكتبوا بلغة عربية صحيحة ... إنهم يجمعون مكتبات ضخمة بتكاليف باهظة؛ ويزدرون الأدبيات المسيحية ... وفي مقابل كل فرد قادر على أن يكتب خطابا باللاتينية هناك ألف ممن يستطيعون التعبير بالعربية بفصاحة<sup>(١٥)</sup>.

إنّ المدة بين القرنين العاشر والثاني عشر شهدت ازدواجية في النظرة تجاه الشرق؛ فمن جهة تركت الحملات الصليبية سجلاً حافلاً بالكراهية تجاه الشرق؛ لا تظهر فيه إلا بعض محاولات فردية هنا وهناك، للتعامل والتفاوض مع الأعداء. ومن جهة أخرى كانت هناك حاجة إلي تلمس مسارب التجديد عبر فكر المسلمين والعودة إلى الروح اليونانية؛ من خلال ما كتبه ابن رشد وسواه.

## ٢ - الشرق في المِخِال الأوربي:

يذكر روبرت بريفولت Robert Briffault في كتابه (بناء الإنسانية The Making Of Humanity): "إن النور الذي أضاء الحضارة لم تأت جذوئُه من الثقافة اليونانية والرومانية، أو من آثارهما في أوروبا، لم يأت من الشمال بل أتى من القادمين من الجنوب وهم العرب<sup>(١٦)</sup>؛ إذ بدأت المعرفة العربية بالنفوذ إلى أوروبا المسيحية. وكان لهذه المعرفة حضوراً كبيراً في القرن العاشر؛ أكثر مما يتبين لنا في المدونات التي توثق تلك الفترة؛ إذ تمتع المسيحيون تحت الحكم الأندلسي بتسامح ديني؛ وكان لقساوستهم في ضواحي العاصمة كنائسهم التي اتخذت نُزلاً للربان والمسافرين الذين كانوا يُشاهدون وبشكل يومي في شوارع قرطبة؛ وتوجّه الطلبة للتعلّم لدى العرب؛ باحثين عن نور العلم الذي لم يكن موجوداً في مكان آخر<sup>(١٧)</sup>.

والذي ساعد في هذا التغيُّب لثمار الحضارة الأندلسية السقوط المتسارع لها، والاجتثاث الشامل الذي تعرّضت له؛ وهي في ذروة لحظتها الحرجة للنقلة التجريبية في العلوم؛ من النطاق النظري إلى المستوى التجريبي؛ فضلا عن تدمير المصادر وحرق الكتب والسجلات؛ وتشريد العلماء وإغلاق المعاهد والمدارس.

لكنّ أوروبا أخذت تفهم ذاتها عبر النصوص المنتقاة من الثقافة الشرقية والعلوم والأفكار الجديدة؛ بيد أنها - ومن خلال عملية إعادة تعريف ذاتها - عملت على صياغة دويتها أمام الثقافة العظيمة في شكل من أشكال الفوقية<sup>(١٨)</sup>. ومن هنا بدأت الصورة التي تشكّلت عن الشرق إبان الرقي الحضاري تتلاشى، لتنعكس لاحقاً صورة الشرق المتخلف؛ قبالة الآخر الأوربي الذي دخل طور التمدن والانفجار العلمي التجريبي على الخصوص.

لكن التاريخ الذي راحت تستحضره هو في الغالب التاريخ السلبي، تاريخ وقائع الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي.

وفي الواقع فقد أسهمت الحملات الصليبية في تواتر الأخبار عن الشرق وارتسام عددٍ من التّصوّرات المبكرة والمبالغ فيها والمنسجمة مع المعطيات الثقافية الغربية لترسخ صورة الآخر الشرقي؛ في بعده العقيدي المخالف للغرب. لكن الحملات الصليبية نفسها - على ما كان فيها من آثار عداوية - لم تستطع كتم عنصر الاندهاش المتأني من الشرق.

"ومن النتائج اللاحقة لذلك ظهور عددٍ من القصص والملاحم التي عُرفت بـ الرومانس، فضلا عن أعمال شعرية يمكن عدّها إرهابات لاستشراق أدبي استمر حتى القرن العشرين. وقد انقسمت تلك

الأعمال - المتولدة عن الاحتكاك بالشرق العربي الإسلامي - إلى قسمين: الأعمال القائمة على الغرائبية؛ التي تصوّر الشرق بصور يغلب عليها عنصر التشويق غير الواقعي، والأعمال التي تعكس الروح التعبوية؛ كما في الملاحم. ولعلّ أشهر تلك الملاحم المعروفة عند الغربيين - والتي تعود إلى بداية القرن الثاني عشر الميلادي - أنشودة رولاند والتي تصوّر مشاهد من الصراع الإسلامي/ المسيحي في أسبانيا؛ مبرزة المسلمين بوصفهم أعداءً وثنيين<sup>(١٩)</sup>.

ومنذ وقت مبكر فتح الحضور الصليبي في الشرق الأوسط الطريق لكتابة أدب الرحلات، كامتداد هجين لأدب الحج. والذين كتبوا عن رحلاتهم كانوا يمثلون شرائح متنوعة من المجتمع الأوروبي؛ كانوا بمثابة سفراء لدولهم، أو تجار وأصحاب عمل يبحثون عن الرياح من ثروات الشرق؛ فضلا عن كتاب يقومون برحلات ثقافية بغية توسيع آفاق العقل<sup>(٢٠)</sup>.

لكن الكثير من الذين زعموا أنهم رحّالة لم يروا الشرق أصلا؛ وإنما اخذوا سردياتهم إمّا من القصص الشرقية الخيالية، أو من رحالة وحجيج سابقين عليهم، أو تليفقا من عند أنفسهم. بحيث أصبح من غير الضروري بالنسبة للرحالة تجشم مشقة مغادرة بيته، وكذلك وكتاباتهم تصدر عن عدم اتصال مباشر بالشرق إلا عبر الكتب، وقد رسخت الكتب التي تتحدث عن الخيال المشوه وجعلت منه أساسا ملموسا لوعي الذات الغربية وذخيرتها من المعلومات، وهذا ما ينطبق على السير جون ماندفيل John Mandeville ١٣٠٠ - ١٣٧١م، " مؤلف كتاب قوافل السير، وهي مذكرات سفرٍ انتشرت بين عامي ١٣٥٧ و ١٣٧١، وكان عمله ذا طابع شعبي استثنائي؛ رغم الطبيعة الخيالية وغير الموثوق بها في كثير من الرحلات التي تصفها"<sup>(٢١)</sup>.

والواقع فأنه حاول إسقاط ما ورد في العهد القديم عن الشرق على الأماكن التي ذكرها أو زعم انه زارها. ومع ذلك فيصفه توماس بينانت Thomas Fennant في عمله الموسوعي حدود الكرة الأرضية (١٧٩٨-١٨٠٠) Outlines of the Globe بأنه أعظم الرحالة في العصور كافة<sup>(٢٢)</sup>.

وبقي الحال على هذا المنوال إلى الحقبة الانكلوسكسونية ( الممتدة من القرن الخامس إلى القرن العاشر). وفي تلك المدة لم تكن الكتابات أو الأخبار عن الشرق ترقى إلى مستوى الكتابة الأدبية المنظمة؛ بل كانت كتابات مضطربة غارقة في الخضوع للدعايات التي فرضتها وقائع الحروب

الصليبية. ويمثل النموذج البريطاني أوضح النماذج الأوروبية تعبيراً عن ذلك النشاط القديم؛ متمثلاً بكتابات الرحالة والأدباء والرسامين.

"ومن كتاباتهم في تلك الحقبة انبثق العزم على تصوير الشرق وشعبه وحضارته تصويراً مشوّهاً... وأسفرت عن تيار أدبي نقل صورة سلبية عن الشرق، وهذه الصورة امتدت تقريباً إلى نهاية القرن الثامن عشر؛ فقد عدَّ الشرقُ (الأوسط) - الذي هو منبع اليهودية والمسيحية والإسلام؛ فضلاً عن حضارات أخرى قديمة - معقل الجهل والحروب وأرض الوحوش والمخلوقات الغريبة؛ في وقت كان ينعم فيه العرب بالازدهار السياسي والاقتصادي والديني والثقافي" (٢٣).

والملاحظ أنّ كثيراً من الذين صوروا الشرق، أو الذين كتبوا عنه آنذاك لم يروا الشرق كما اسلفنا؛ وإنما استندوا إلى روايات الرحالة الأوائل؛ الذين اعتمدوا الخيال في تصويرهم الشرق، أو أضافوا إليه مزيداً من الخيال والغرائبية. وهؤلاء اهتموا بالجانب الأدبي على حساب الحقيقة؛ فهدفهم الأساس كان إدهاش القراء وامتاعهم بعالم سحري خيالي، عبر روايات كثيرة. وهناك من يرى أنّ "الرحالة والحجاج الأيرلنديين المبكرين تعلموا العربية والسريانية والعبرية؛ ومهدّوا الطريق لظهور حركة الاستشراق الكلاسيكي" (٢٤).

و"مع بداية الحملات الصليبية عام ١٠٩٦م أتت أعداد كبيرة من الأوربيين كحجاج لبيت المقدس، أو مبشرين بالنصرانية. ومع أنّ أهدافهم كانت روحية أو سياحية أو استكشافية في المقام الأول إلا أنّ ما دوّنوه من مشاهدات وما تناقلوه من روايات كانت ذات قيمةٍ اثنوغرافية كبيرة؛ على الرغم مما احتوت عليه المادة من الانطباعات الذاتية" (٢٥).

وكان لـ جفري شوستر (٢٦) ولَع في نقل خرافات الرحالة عن الشرق، وهو يعترف بأنها أكاذيب كانت تملأ جُعب الرحالة والحجاج، ومع ذلك حشر في روايته **رجل القانون** Man of Law's Tale - كل عناصر العداية والتزوير (٢٧)، وهي خامسة روايات كانتربري (٢٨) وكانت من المحفزات التي دعت إلى تقليدها ونشرها في المجتمع الإنكليزي. وأدارها على محور يشبه المحور الذي اختاره بوكاشيو لقصص الديكاميرون (٢٩).

وهناك من يرى أنّ تحامله وتحيزه لم يكن بسبب كونه مسيحياً متعصباً؛ بل لأنه يتبع تقليداً أدبياً يقوم على غرائبية الشرق وتشويه معالمه (٣٠) لإضفاء المتعة والحماس.

لكن هذا المستوى من الكتابات التي امتدت إلى العصر الرومانسي ليس هو المستوى الوحيد؛ ففي فترات لاحقة ظهرت تيارات أدبية استمدت مقوماتها من الرحالة والباحثين المستقلين الذين حرروا أنفسهم من المعتقدات التقليدية والتحيزات السياسية والدينية، وتبنوا فهما مغايرا للنمطية القديمة عن الشرق وما قدموه من نتاجات أسهمت بشكل كبير في تنقيف المجتمع وتغيير نظرتهم وتصوراتهم عن الشرق<sup>(٣١)</sup>. لكنّ الدمج بين ما كان يجلبه الرحالة والحجاج، وترجمات القصص الشرقية - مثل ألف ليلة وليلة - شكّل ثيمةً مثلت مصدرا للمعلومات عن الشرق.

وفضلا عن تطور السرد الرومانسي بتأثير الليالي العربية فإن الجانب المعرفي في قصصها كان له ثقل لا يقل أهمية عن أثر المتعة في المستوى الشعبي أو في مستوى الخواص، لكن السرد بحد ذاته الأداة الحاملة لكلا الأثرين، وقد " أكد هاف بلير في كتابه محاضرات في البلاغة والفنون الأدبية ١٧٩٢ أنّ أحكم الناس في جميع العصور استخدموا بشكل أو بآخر الحكايات الخرافية والروايات بصفتها وسائل للمعرفة.

وكانت الشعوب الشرقية أكثر من غيرها اقتدارا على تطوير فن السرد القصصي؛ لأنه أداة مناسبة للأفكار والآراء الفلسفية والدينية والسياسية. وأوضح بلير كيف أن الحكايات التصويرية والمتعة تعرض عواطف حية وأوصافا دقيقة للشعوب والطباع الشرقية"<sup>(٣٢)</sup>.

" ويرجع هذا الاهتمام إلى أنّ الليالي - ضمن اعتبارات الاتجاه النفعي - تقع ضمن نزعة سائدة امتدت في الثقافة الإنكليزية؛ منذ تخريجات الناقد والسياسي السير فيليب سدنّي (1586 - 1554م) وآخرين بعده؛ حول أهمية الجمع بين المفيد والمتعة. وعندما يرتدي المفيد والنافع ثوب المتعة فإنه يكون أبلغ وأكثر يسرا وتأثيرا. وسيادة هذه الفكرة لم تمنع الرحالة وهواة الأسفار من طرح عواطفهم علانية أمام الجمهور إزاء سحر الليالي، وهو سحر كان له تأثيره البالغ في عدد كبير منهم، حتى بدت تقاريرهم وقصص رحلاتهم رومانسية جزاء ذلك.

وكان **جيمس دلاوي** (قس وطبيب السفارة البريطانية لدى الباب العالي في استانبول) يرى الشرق من منظار لونه قراءاته في ألف ليلة وليلة. وعندما كان يصف الجانب المثير من حياة الشرقيين؛ يشرح موضحا بأن كثيرا مما يتخلل عاداتهم تصفه ليالي السمر العربية، ولاسيما أولئك الذين ينحدرون من مستويات اجتماعية متدنية. ولأن الحكايات تجمع بين المتعة والمعرفة والتفصيل التاريخي، فإنها تستحق الإطراء"<sup>(٣٣)</sup>.

"إن انتفاع الكاتبين نيرفال (١٨٤٢-١٨٩٣) وفلوبير (١٨٢١ - ١٨٨٠) بزيارتهما الشرق كان يفوق انتفاع جميع الرحالة في القرن التاسع عشر. وكانا ينتميان إلى جماعة الفكر والإحساس التي وصفها ماريو پراز في كتابه العذاب الرومانسي، وهي الجماعة التي كانت تهوى صور الأماكن العربية، وتنمية الأذواق السادية؛ أي حب الإيلام والتألم كما كانت مفتونة بفكرة المرأة الفاتلة، وبالسرية وعلوم الغيب، ولم يكن من قبيل المصادفة أن يعمدا في أعمالهما عن الشرق وفي زيارتهما له، إلى إبراز قيمة كل نمط نسائي ينتمي إلى هذا اللون الأسطوري، الغني بالإبجاءات والتداعيات"<sup>(٣٤)</sup>.

ونختلف مع إدوارد سعيد في قضية كون الانتفاع بهذين الأديبين والرحالين يفوق الانتفاع الحاصل من جميع الرحالة المعاصرين لهم أو اللاحقين عليهم؛ إذ هناك رحالة كانوا أكثر تأثيراً منهما في صناعة الشرق النصوصي؛ ولاسيما على المستوى الشعبي، لكن جرى ذكرهما هنا للإشارة إلى دور أدب الرحالات في التوجه الرومانسي آنذاك. من ذلك مثلاً نموذج الفرنسي شاتوبريان أحد أكثر الأدباء الفرنسيين بروزاً وتأثيراً في نشوء المدرسة الرومانسية. والذي قدّم صورة مشوقة عن الشرق من خلال رحلته للقدس التي أضفى عليها طابعا رومانسيا مذهلا.

ويرى هشام جعيط: "من العسير تخيل موقف أشد من موقف شاتوبريان (١٧٦٨-١٨٤٨م) في مسار رحلته من باريس إلى القدس، فهو يستعيد عواطف وانفعالات كانت سائدة فيما مضى، فيما هو يمجّد أنا جمعية متفردة لا مثيل لها، لتكون مرجع صدق العصور الوسطى؛ بوصفها قلب ميراث عظيم ولحظة من لحظات الحقيقة في التاريخ"<sup>(٣٥)</sup>.

والواقع فإنّ شاتوبريان له مكانةٌ عجيبة في الأدب الفرنسي، فهو أقلّ شهرة من فكتور هيجو، وأقل عمقا من لامارتين؛ ومع ذلك بعد أحد أبرز رواد المدرسة الرومانسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن خلال كتاباته وكتابات آخرين انتقل أدب الرحلات إلى صميم توجه الرومانسية الأوربي. وهو توجّه له أثر كبير في رسم معالم الصورة النمطية للشرق؛ بوصفها صورة السحر والغرائبية التي تنتشل الأوربي من براثن الرتابة الأوربية، فهو شرق خيالي بامتياز.

وان الشرق من منظورهم "أرض التوراة والضياء، إنه الرومانتيكية التي حلم بها لامارتين وديديه، وغوتيه، وفلوبير، فديديه المشمّم من فرنسا ومن أوروبا برمتها، ذهب هناك لبحث عن الراحة والنسيان. ولامارتين يفكر بالشرق ليحيي ذكريات شبابه المسيحية، ويتحرّق لرؤية (تلك الجبال التي كان يهبط فيها الرب، وتلك الصحارى التي كانت تؤمها الملائكة، لتظهر لهاجر النبع الخفي) لقد

كانت مخيلته عاشقة للبحر، وللصحارى، وللجبال، وللعادات، ولأثار الله المرسومة على الشرق، فلم لا يرحل هناك إن؟<sup>(٣٦)</sup>.

لكن هل هذا كل شيء؛ وهل الشرق الساحر بطبيعته وندرته يطابق سحر مجتمعه؟ أم أن الازدواجية تستمر لتفعل فعلها في العزل بين سحر الشرق بوصفه طبيعة خلابة؛ وبين غلظة الشرقيين بوصفهم كائنات دونية لأسباب سيرد الإشارة إلى قسم منها في أثناء البحث!. ثم هل نقل الرحالة والأدباء والرسامين صورة الشرق الرومانسية فحسب أم نقلوا أيضا صور متباينة ومعلومات مهمة كانت تحتاجها النزعة الاستعمارية؛ بوصفها مصادر مهمة يحتاجها المستعمر في اجتياحه لعالم الشرق؟.

قدّم رحالهُ للكولونيالية الأوروبية خدماتٍ كبيرة على الصعيد الاستخباري والمعلوماتي لكن أثرهم الأكبر تمثل في تصنيع الصورة النفسية التي يحتاجها المستعمر؛ ليسوغ أفعاله تجاه البلدان التي يستعمرها، ولاسيما تضخيم عنصر الدونية والتخلف.

"إن إسباغ صفة الشر على مجتمعات مُستضعفة أو متخلفة كان طريقة مناسبة لخلق كبش فداء، وهذا الإسباغ له دوافع غالبا ما تكون غير معلنة أو غير مُدركة فمثلا " أوروبا القرون الوسطى ربطت بين النساء والشيطان، ورأت فيهنّ عدوات للكنيسة والمدنية، الأمر الذي برّر مُطاردة الساحرات ومحاكمة النساء بتهم الجرائم الجنسية، وأكل لحوم البشر، ومعاشرة الأرواح الشريرة"<sup>(٣٧)</sup>.

وشبيهة بهذه النزعة سرّت أيضا في الكثير من مواقف أوربا السياسية والدينية من الشعوب الأخرى خصوصا في العصر (الاستعماري) الكولونيالي. فالشرق ليس متخلفا لأنه متخلف؛ بل ينبغي جعله متخلفا وفاسدا لاعتباراتٍ ومواقفٍ يفعلها الأوربي، وتحتاج إلى مسوغات من مثل الصفات الدونية التي يسبغها على الآخر.

"وتتضمن الروايات الأوروبية عن الشرق تركيزا على السمات التي تجعل الشرق مختلفا عن الغرب، وتخفضه إلى مرتبة (الآخر) الذي لا صلاح له. وكان في تلك الروايات التي تصف ذلك (الآخر) مقولتان ملفتتان للنظر: الأولى الادّعاء بأن الشرق مكان الفسق والملذات، والثانية أن الشرق عالم العنف المتأصل. وهاتان المقولتان ظلتا تترددان؛ حتى وقتنا الحاضر.

إن القرن التاسع عشر هو الذي أفرز الشكل المنظم لتلك المقولات؛ فقد شهد مجابهة جديدة بين الغرب والشرق وهي المجابهة الاستعمارية. فإذا ما صوّرت شعوب الشرق بأنها خاملة، وليس لها قدرة على أن تحكم نفسها، عندئذ يجد الإمبريالي المبرر ليتدخل في شؤونها. فالتسلط السياسي والاستغلال

الاقتصادي يحتاجان إلى لغة منمقة لتظهرهما وكأنهما ليسا سوى رسالتي حضارة وتمدن. وعلى هذا لم تلجأ الإمبريالية إلى انتهاج الشوفينية مباشرة؛ بل راحت تستخدم العقل بطريقة ماكرة وجندت العلم والتاريخ لخدمة أغراضها؛ فصورة الأوربي المستعمر يجب أن تبقى صورة مشرفة: إنه لم يأت كمستغل، وإنما صاحب رسالة تنويرية ويؤدي واجبه!"<sup>(٣٨)</sup>.

والرحالة الغربي كان "أماناً من النقد، فمن من الذين يقرأون له ويستمتعون بالأكاذيب البريئة التي تداعب الخيال سيأتي بيرتون إلى المدينة المنورة ليتحرى مثلاً عن مكانة النخلة في عقيدة المسلمين! التي تحدث عنها وبالغ. وفي الحقيقة فالمبالغة هي السمة الأبرز في أدب الرحلة الغربية تقل درجتها أو تزيد بحسب ثقافة الرحالة المعني وسعة خياله، وبحسب الموضوع الذي يعالجه وجمهور القراء الذي يخاطبه"<sup>(٣٩)</sup>.

إن تفكيك خطاب الرحالة ليس بالأمر الهين نظراً لتعدد دوافعهم وحمولاتهم الثقافية والأخلاقية، ولم يعد الدافع الديني في هذه الفترة مفتاح هذا الخطاب؛ بقدر ما أصبحت التعقيدات الحضارية والتغيرات الثقافية والفكرية والسياسية العامل الأساس الذي يحكم ذلك الخطاب ولغته. فضلاً عن تباين الرحالة أنفسهم؛ من حيث القصد ومن طرائق التعبير؛ والخضوع للنص التاريخي السالف.

إن مقولة: الغرب يعرف عن الشرق أكثر من الشرقيين أنفسهم؛ لا تصادُر حضور الشرقي ووعيه فحسب، بل وعي الغربي أيضاً؛ وجعله أسير ما يقرأ.

والرحالة نفسه - وجريا على إثر تلك المقولات الجاهزة - يعمل على استحضار الموروث النصوي الذي توارثه عن الشرق، ليعيد تصنيعه بشكلٍ معاصر له؛ ولهذا يصبح خيال الرحالة الأوربي مرتيناً بسلسلة من الاستعارات والمفاهيم المتوارثة.

ف شاتوبريان Chateaubriand مثلاً شرع قبل قيامه برحلته إلى بيت المقدس بقراءة أكثر من مئتي كتاب، وكأنه قام برحلته تلك قبل أن يرحل بالفعل. إن هذا النسخ الثقافي عن الغير من شأنه جعل الشرق قوالب أدبية جاهزة، ولم يكد شاتوبريان يصل إلى بيت المقدس حتى وجد نفسه مُتقلاً بنصوصٍ مشبعة بخطاب الموروث ولغته.

" فالنص المنتج عن الآخر هو إعادة تشكيل جديد، يحتكم لتصوراتٍ مسبقة مثل التأثيرات الثقافية والأيدولوجية وحتى المزاجية؛ لذلك فالصورة لا تتطابق مع الحقيقة، بقدر ما ترتبط بثقافة الآخر، وبأيدولوجيته وانتماءاته الحضارية. والصورة النمطية التي توحى بالأحكام المسبقة تتشكل وفقها صورة

الأخر. وقد أسهم الأوروبيون في تكريس هذا النمط من الصور خلال الرحلات التي قادتهم إلى الشرق، وتأتي الصورة بوصفها اللغة الثانية لِمَاهِيَةِ الصورة في الأدب المقارن.

أما أهمية النمطية فتكمن في عملية إدراك الآخر وصياغته في شكل مختصر وسليبي، وهذا ما يفسر حقيقة الصور المتنوعة التي تصاغ حسب التصورات الذهنية المطابقة لوجهات النظر الأيديولوجية والعرقية " لتنتهي بشكل ما لزمان أسطوري خارج الحدود الزمنية المألوفة.

ويمكن التمثيل لهذا برحلات الفرنسيين في القرنين السابع عشر والثامن عشر، بوصفه فضاء يتوافق وأفكارهم وتصوراتهم الأسطورية للتعبير عن أغراض معرفية أفادتهم في الكتابة عنه.

وعلى النحو الذي يقره فيكتور سيجلان Victor Segalen فالآخر كيان ثقافي مغاير، والذات تشعر بلذة الاختلاف " والذهاب نحو الآخر انتزاعاً من الذات ومن ثقلها الثقافي الأصلي، إذ يمكن التمتع بالأجنبي من منطلق ينتزع المرء من نرجسيته وانغلاقه.

وبما أنّ الصورة في بعض جوانبها تترصد العلاقة التي تنشأ بين الرحالة والبلد المزار، فإنها من هذا المنظور تتخذ طابعاً أدبياً على النحو الذي يصفه (دانيال هنري باجو) Daniel Henry Pageaux بالصورة الأدبية التي تكشف عن الفوارق بين نظامين لثقافتين متميزتين.

وهذا يتمثل أحياناً بمجالات بحثية كالثقافة، والنمطية، وجدلية الذات والآخر... ولنا في ذلك شواهد، نذكر منها ما ورد في كتاب الأدب المقارن (فرانسوا غويار) إذ يفيدنا بتجربة الأدباء الفرنسيين الذين تأثروا بالأدب الإنجليزي في القرن الثامن عشر، مما أتاح اكتشاف انجلترا أدبياً وجمالياً. وقد تجلّى ذلك في توظيفهم شخصيات أدبية مثل شكسبير ومدام دي ستايل؛ التي أتاحت للفرد الفرنسي الإطلاع على الأنماط الثقافية وعادات الشعب الألماني وأخلاقه" (٤٠).

كتب لوسيان غولدمان - مؤسس "البنوية الجينية - إن على كل من الفلسفة والأدب؛ وضع مفاهيم محددة، وشروطاً لدراسة النصوص الفنية أو الأدبية أو الفلسفية. وتركز أطروحته الرئيسة على فكرة "رؤية العالم" من لدن الكاتب، يعتقد أنّ بعض الفئات الاجتماعية المتميزة، في حالتنا الأوروبية الرحالة، تمتلك شكلاً متفوقاً من الأيديولوجية التي يصفها بـ نظرة العالم.

وهذه النظرة - بحسب قوله - تعبير عن مثل هذه المجموعة في المجتمع "التي كانت أفكارها وشعورها وسلوكها موجهة نحو تنظيم شامل للعلاقات بين البشر والعلاقات بين الإنسان والطبيعة". كما وجد أن وجهات النظر تمثل حقائق اجتماعية، في حين "تمثل الأعمال الفلسفية والفنية الكبيرة التعبيرات المتسقة والكافية لهذه الآراء العالمية" (٤١).

ويعدّ غولدمان جميع المنتجات الثقافية منتجات اجتماعية، وعليه فالمؤلف لا يخلق رؤية للعالم أو الفئات العقلية للمجموعة، لكنه يصل إلى حد الترابط للفكر الجمعي الذي ينتمي إليها. وطبقا للهيكلي العقلي للمجموعة التي يكون المؤلف أو الفيلسوف عضواً فيها، تتشكل بنية العقل التي يقدمها. يبدو من هذا أنّ بنية عمل المؤلف على هذا النحو تأتي لتعبر عن البنية العقلية للمجموعة الاجتماعية وليس للواقع<sup>(٤٢)</sup>.

ولذلك فليس الرحالة هو الذي يحدّد مساراتٍ منهجه، وطبيعة اهتماماته؛ إلا بحدود معينة؛ ذات ارتباطٍ ذوقي؛ في حين أنّ الأثر الأكبر الذي يفرض حضوره على منتجِه هو لأثر البنية الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهو ما ينفك يعزّز انتماءه إليها بالحديث على وفق متطلباتها. وهذا الكلام في الحقيقة لا ينفي الذاتية؛ لكنه يحدد الهيكل العام الذي يفرض ثقله على منتجات أيّ كاتب عن الآخر، لذلك فمرحلة العصر الفيكتوري هي في الحقيقة مرحلة التوسع الكولونيالي البريطاني لذلك فالروح الاستعمارية تطلب دائما تعزيزات لحضورها على مستوى الفكر والثقافة؛ بدليل أنّ أغلب الرحالة الذين كان لهم القدرة والمطاوله على إتمام رحلاتهم هم الرحالة الذين وجدوا دعماً مؤسساتياً وسياسياً ومالياً من حكوماتهم.

وبالفعل راحت الجهات الرسمية، من مثل الجمعية الجغرافية الملكية، و (شركة الهند الشرقية) و (المتحف الوطني) " تشجع جهود الرحالة لوصف البلاد التي كانوا يسافرون إليها، وكانت موجة الولع بالأثرية قد تطورت من مجرد ميل فردي إلى اهتمام قومي شامل، وكان هذا كلّه يتوافق مع نزوع العهد الفكتوري إلى تلمس السبل لبسط سيطرته الفكرية.

وبصرف النظر عن كون الرحالة آنذاك يؤيّد الأفكار الاستعمارية أو يرفضها فإن رؤيته أصبحت في أداة لتفريق أساطير الإمبريالية التي تزايد حجمها حتى غدت تقاليد قام بدعمها العديد من الكتاب بشكل مستمر، وقد كان لهذه التقاليد دورها الفعال في تكوين التسميات الثقافية"<sup>(٤٣)</sup>.

أنتجت بريطانيا خلال القرن التاسع عشر كمّاً هائلاً من أدب الرحلات، وذلك في محاولة منها لمعرفة العالم الذي كانت بصدد غزوه. و"الرحالة سافروا لخدمة حكوماتهم، وكانوا عينها التي ترى، وأذنّها التي تسمع، ولهذا كانوا غالباً ما يتمتعون بالدعم المالي الرسمي.

بل أنّ ما قدموه يراه بعضهم خدمةً نوعيةً وريادة لم تنتهياً للرحالة الأوروبيين في عصور سابقة؛ على الرغم مما حوته رحلاتهم من تعسفٍ في حق الشرق ومبالغات وإسقاطات وعقد شخصية وحضارية؛ "

فمشهد وجود رحالة قبل القرن التاسع عشر كان مألوفاً للقراء الأوروبيين والإنجليز؛ حيث قدم العديد منهم وصفاً لجوانب الحياة الشرقية، لكنهم أضاعوا الفرص لتقديم إسهامات جديدة للحياة الشرقية. وبهذا الصدد تذكر كاثرين تيدريك Kathryn Tidrick " أن المستكشفين والرحالة من أمثال بيرتون ولورنس جعلوا الأماكن التي استكشفوها أكثر واقعية؛ من بعد أن كانت مؤرقة للوعي. وهي شخصيات دفعت نفسها إلى أقصى حدود التحمل الجسدي والعقلي، والبقاء على قيد الحياة لتغيير العلاقة الاستثنائية مع الجزيرة العربية والأماكن الأخرى التي استكشفوها، وقدموا فهماً جديداً للغرب عن تلك الأماكن"<sup>(٤٤)</sup>.

ويُعرف بايرون فرويل Byron Farwell المستكشف بأنه: "رجل متحصّر، والاستكشاف مفهوم متقدم، وأنّ هذا منعدم عند البدائيين وعسير على النساء. وهذه المقولة تدل على الصفات الذكورية التي اتسم بها الاستكشاف، فهو بالأساس فعل سياسي وذو نزعة أبوية حتى ولو مارسته النساء"<sup>(٤٥)</sup>. ومع أنّ هناك أمثلة بارزة لنساء بريطانيات من العهد الفيكتوري كتبن عن البلاد التي ارتحلن إليها؛ فإنّ نقل الكتابة الفكتورية في أدب الرحلات يتمثل بما كتبه الرجال ذو الهيمنة الأبوية؛ لأنه كان يمد أصحاب السلطة بالمعلومات فيكون بالتالي قد قدم خدمة لهم"<sup>(٤٦)</sup>.

هذا إذا تجاوزنا إحصاءه بأن الاستكشاف منعدم لدى الأمم الأخرى!. وهذه مغالطة كبيرة تنم عن جهل بتاريخ الشرق ورحلات الخطيرة التي قدمها للعالم.

"يقول فرانك ماكلين: إنّ عبقرية بيرتون هي التي زودت إنجلترا في العصر الفكتوري بأكمل صورها، وإنه ترك للغربيين شهادةً دقيقةً على عصر لم يعد قائماً. وفي المقابل شكك بعضهم في نواياها العلمية بسبب تعصبه وميوله السياسية، وأنه كان يكره الإدارة البريطانية وجيوش المبشرين، إلا أنه كان مخلصاً للملكة، ومقتنعاً بتفوق الجنس الأبيض على الأجناس الأخرى. وأنه كان إمبريالياً بلا حدود، ولازمه الحلم بأن يمتد الحكم البريطاني إلى الجزيرة العربية كلها، ولذلك قدم اقتراحات في كتبه حول سبل تجنيد البدو في جيش الإمبراطورية"<sup>(٤٧)</sup>.

إنّ التبرّجّل الهائل الذي كان يلقاه قسم من الرحالة إنما ينبع من الدعم الشامل لهم؛ نظراً لما يقدمونه لحكوماتهم من إنجازات يجري على إثرها الإنفاق الكبير على رحلاتهم.

ويذكر توماس رايت مؤلف كتاب حياة ريتشارد بيرتون: " السير ريتشارد بيرتون المسافر الأكثر شهرة، عالم اللغة، وعالم الإنسان، الفارس العربي، نصف الإله ... كان يُنظر إليه بشكل عام على

أنه الشخصية الأكثر روعة في عصره، وواحد من أكثر الأبطال اللامعين في هذه البقعة المباركة. إنكلترا؛ أم الأبطال على الدوام" (٤٨).

وهذا ما حمل الرحالة ألبرت سميث في مقدمة كتابه (شهر في القسطنطينية) على أبداء امتعاضه وشكوكه حيال تجاه كثير من روايات الرحلات. يقول ألبرت " لقد عملت كل ما بوسعي لأنال من تلك الكتابات نظرا لما خالطها من زيف وتشويه يستغل القارئ من خلال إثارة الأخيصة الرومانسية والأسلوب المنمق" (٤٩).

ولا نتوقع أن تكون جهود الرحالة فردية أو عادية بل لها دور وأهمية وعناية فائقة؛ سواء من لدن الدوائر السياسية التي كانت تكلف أغلبهم برحلاتهم أو من لدن عموم الجمهور والمتقنين في أوطانهم. ومع أن القرن الثامن عشر أنتج أدب رحلات يتسم ببعض الرؤية إلا أن أكثره ظل لونا تعليميا؛ من نوع سرد الحكايات؛ والسياحة الوصفية.

" وقد فرض ذوق الكلاسيكية الجديدة على رجال ذلك القرن نوعية ما كُتب، إذ أن ما كُتب التزم بالتقليد العام للقصص الوصفية أكثر من التزامه برواية السيرة الذاتية، وعمد إلى وصف المناظر وتفادى وصف الأحاسيس الذاتية. لذلك لم تتمكن قصص القرن الثامن عشر من أن تتكافأ مع طموحاتها السياسية؛ تلك التي أنتجها القرن التاسع عشر" (٥٠).

إن النزوع الرومانسي تمثّل أكثر ما تمثّل في كتابات الرحالة في القرن الثامن عشر ونصوصه هي التي حملت الأدباء والرسمين على أن يستغرفوا في تخيل الشرق السحري؛ تخيلا رومانسيا؛ بتزامن مع ما كان يتم من ترجمة لنصوص ذات بُعد خيالي رومانسي كمثل ألف ليلة وليلة وسواها. فمثلا أصبح ليين في كتابه مصر الحديثة مصدرا أساسيا للوحات التي تصور مخادع الحريم. والحريم من بين الرموز الأكثر قوة ودلالة على الغرابة والعجائبية والآخر. وقد وجدت الفكرة التعبير الأكثر تماكاً وقوة في عمل المصوّر جان أوغست Jean Auguste، ففي عمله المبكر الذي يعود إلى عام ١٨١٤ رسم لوحته المحظية التركية العظيمة، وأتبعها بعملية الشهيرين العيد، والحمام التركي.

ولا نستبعد في أي مجتمع وجود مثل هذه الظاهرة لفئة معينة من النساء؛ لكن المشكلة هنا تتعلق بالإعجاب والنقل. أي أن الرحالة في أوصافه وتضخيمه أو حتى اختلاقه ظاهرة ما؛ شاهدها أو سمع عنها أو افتراها سرعان ما يتحول كتاباته أو رسومه إلى ثقافة شعبية Public Culture يتلقفها الناس

بادئا؛ ثم يعودون هم أنفسهم بعد ذلك إلى تضخيم تلك الصور والخضوع لإيحاءاتها وجعلها صورة عامة عن مجمل الشرق الذي ذكره الرحّالة.

أما قضية الجهل فمسألة لا تقل خطورةً عن قضية الخضوع للهوى، أو تعمد التشويه أو الانحياز لحمولات الثقافة التي ينتمي إليها الرحّالة؛ ناهيك عن قلة خبرة قسم من الرحّالة في مجال الكتابة والوصف والتحليل. فقسم منهم أصبحوا رحّالة لظروفٍ طارئة لا تتعلق برغبتهم وميولهم.

من ذلك " ما قام به الرحّالة أوريان؛ وهو ابن شقيق دوسان بريست سفير فرنسا في القسطنطينية، وهو شاب ليست لديه أفكار مسبقة ولا خبرة، بل كان شغوفاً بالمغامرة وعاشقاً للملذات. فأرسله عمّه إلى مصر بحجة مهمة تفتيشية، وحقيقة الأمر أنه أرسله إلى مصر لإقصائه عن سلوكه الماجن. فهو لم يكن كاتباً أصلاً ولم يبال يوماً بتحقيق أمجاد في مجال الأدب، ولم يكن راغباً إلا في الاستمتاع بحياته كل المتعة<sup>(٥١)</sup>، فمن الطبيعي أن يضع أوريان صورةً للشرق لا تعبر إلا عن عناصرٍ راح يبحث هو عنها، وهذه الصورة حين يتم نقلها إلى بلده تأخذ طابع الإعام؛ لتشتغل من ثمّ بدل الأصل؛ عبر فيلولوجيا نصوصية غير منضبطة، ولا كبير علاقة لها بالقيمة المعرفية. وأقل ما يصدر عن مثل هكذا رحلات الجهل وعدم المبالاة.

ويعزز هذه الرؤية ما ذكره الباحث روبرت بونتون بأنّ " حسابات المسافرين الأوروبيين في أوائل القرن التاسع عشر غير قادرة عموماً على التمييز بين "العوالم" و"الغوازي"، مما يشير إلى درجة من الجهل الثقافي فضلاً عن عدم إمكانية وصول معظم الأجانب إلى الأجزاء الداخلية الخاصة من شرائح المجتمع<sup>(٥٢)</sup>.

لقد كان لأمثال أولئك الرحّالة النصيب الأوفر في إبراز الصورة المشوهة للشرقي، كما كان لهم التأثير الكبير في زرع هذه الصورة في الذهنية الغربية. فها هو الرحّالة بيرتون يصف أحد أبناء السند (الهند وباكستان حالياً) بقوله: "... إنّه كسول ولا مبال، وقذر، ومدمن، ومعروف بجبنه في أوقات الخطر، في حين أنّه يصبح وقحا عندما لا يكون ثمة ما يخشاه، وليس لديه أية فكرة عن الصدق"<sup>(٥٣)</sup>.

وبالعودة إلى رحّالة القرن التاسع عشر سنجد السمات العامة التي تعنى بالمنظر الطبيعي عندما تخدم هذه العناية مسيرة روايته الذاتية؛ فهو بطل الرحلة، وليس مجرد راويها، وينتهز كل فرصة ليتحدث عن الذات، فالأنا الممقوتة في النبذة الكلاسيكية أمكن تكييفها لتتلاءم مع التمجيد الفيكتوري للفرد. وأضحى الرحال هو الصليبي، والبطل، والجندي المسيحي. وسرعان ما اتسعت شهرته وراحت

تأخذ أبعاداً أسطورية مثلما حدث لـ جوردون Gordon ولورنس Lawrence. والواقع لم تكن الذات الأسطورية للرحال سوى محصلة لما حمله معه من ثقافة ونزعات ومعتقدات<sup>(٥٤)</sup>. ف ( دزرائيلي Disraeli ) مثلاً جعل بطل روايته (تانكرد Tancred) يبدأ رحلته من إقطاعية أهله، وقد تزود برؤية بينته وسلوكياتها. إنه يذهب إلى الشرق كي يتعلم، ولكن ما إن يمضي في رحلته حتى يغدو هو المعلم، إنه يحمل معه إلى الأماكن التي يتوغل فيها، والتي تعمها الفوضى والانفعالات كل ما نشأ عليه من صرامة في السلوكيات. وبريطانيا العصر الفكتوري التي أنتجت شخصية (ثانكرد) الخيالية أنتجت أيضاً رحلة حقيقيين قاموا برحلاتهم قبل أن يشرعوا بها فعلاً، وذلك بعد أن زوّدتهم قراءتهم المبكرة بكثير من الصفات التي كانت بمثابة رؤية للشرق<sup>(٥٥)</sup>.

وبالمحصلة "فقد تباينت دوافع الرحالة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتوزعت بين الحماس التبشيري، وحب المغامرة، والبحث عن الرومانسية، والبحث العلمي، والاستطلاع السياسي؛ فقد تم إرسال لرحالة الفكتوريين إلى جميع أنحاء العالم. وتتراوح حسابات هذه الرحلات في الشرق الأوسط من التقارير الأثرية مثل "اكتشافات السير أوستن هنري لايارد" في مدينة نينوى (١٨٥١) في العراق، إلى الروايات الصاخبة لريتشارد بيرتون. بينما كان إليوت واربتون في كتابه "الهلال والصليب" (١٨٤٤) أكثر طموحاً وخطورة؛ لكنه أقل إثارة للانتباه؛ في حين دأب روبرت كورزون (١٨٤٩) على وضع تقرير شامل في بحثه عن المخطوطات القديمة"<sup>(٥٦)</sup>.

ومن جانب آخر كانت روايات الرحلات الفيكتورية مرتبطة بعلم حديث الولادة؛ وهو الأنتروبولوجيا، وبداية هذا العلم كانت غالباً ما تدغدغ زهو الأوروبي بنفسه، وتتدخل في روعه بأنه ذروة التفوق بين أجناس البشر الأخرى، وكان يقيس مقدار تدني الشعوب بمقدار اسوداد بشرتها، وطالما أنها تندرج في أدنى مراتب ذلك المقياس، فإنها تشارك الحيوانات في الكثير من صفاتها التي كانت حرارة الشبق الجنسي واحدة منها<sup>(٥٧)</sup>.

إنّ هذا الاستطرد في نمطية طروحات الرحالة جاء لتبيين كيف ستعمل هذه النمطية على تهيئة ذهن الأوروبي؛ وهو يتحوّل صوب تشكيل الشرق تشكيلاً نصوصياً؛ وذا بعد رومانسي يزواج بين الطبيعة الخلابة للشرق، وبين الروح الشرقية؛ فيما يخص العاطفة والجمال؛ لاسيما فيما يخصّ العنصر

النسوي. وهذا التشكيل الجديد له أيضا تعقيدات وأبعاد من الصعب الاحاطة بأسبابه ودوافعه ما لم يتوافر للدارس استبطان للروح التي بدأت تحكم الثقافة الأوربية آنذاك.

إن الفراغ الشرقي في مجال الاستغراب - بوصفيه مقابلا لحركة الاستشراق - عمق الفقر في معرفة تطورات الفكر الغربي بعامه؛ وفي شكل قصورا في الكشف عما أفرزته وانتجتة حركة الرحالة في القرنين الثامن والتاسع عشر على الخصوص.

بدأت كتابات الرحالة منذ منتصف القرن الثامن عشر أكثر دقة وتكثيفا، وهي كتابات مسلحة بمناهج رصينة من حيث الأداء اللغوي والسرد، ثم التصنيف والترتيب الذي بدأت أوربا تتقنه مع تطور أدوات الكتابة والطباعة. والكثير من الرحالة حاولوا الجمع بين الأخيلا المقروءة في القصص القديمة عن الشرق وبين مشاهداتهم وانطباعاتهم عنه. وأحد نماذج هؤلاء الرحالة الإنكليزي ريتشارد بيرتون<sup>(٥٨)</sup> Richard Francis Burton 1821-1890. عمل بيرتون على جعل صورة الليالي العربية واقع الشرق الفعلي الذي رآه. فعمل على دمج تأثراته بكتاب ألف ليلة وليلة مع مشاهداته الشخصية في رحلته الطويلة إلى الشرق.

ومثل كثير من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين؛ سعى إلى إشباع رغباته في العالم الإسلامي، كما حافظ على علاقات وثيقة مع الحكومة البريطانية لغايات التجسس، لكنه عكس كل شكل متخيل من أشكال الانحراف الجنسي على الشرق<sup>(٥٩)</sup>.

وبيرتون رحالة واسع المهارات وصف مفردات الحياة الشرقية في مصر والحجاز؛ ولاسيما في كتابه *رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز*. متختلا بثياب صوفي (درويش) شافعي<sup>(٦٠)</sup>، وكان يتقن ثلاثين لغة، ووصف الحياة الدينية والاجتماعية في مكة المكرمة والمدينة المنورة<sup>(٦١)</sup>، فضلا عن آرائه في الذين شاهدتهم أو التقى بهم من أقوام وافدة إلى الشرق بمختلف أعراقهم؛ كالهنود والأفارقة والأحباش والأوربيين.

"كان بيرتون واحداً من رواد الرحالة وأغزرهم أنتاجا. كان رجل الإمبراطورية حيثما ذهب، وكتاباته هي التي عملت على تأكيد أسطورة الشرق الجنسي، ذلك الشرق كان في نظره مجالا محرّما، حيث النساء جوار يمنحن ملذات محظورة في وطنه الفيكتوري. وقد تراقق حديث الجنس هذا مع حديث العنصرية، فالنساء في نطاق المجتمع الفيكتوري كن مجموعة هامشية مثلما كانت الأجناس الأخرى مجموعة هامشية في نطاق المؤسسة الاستعمارية. وهكذا كانت النساء الشرقيات محل ازدراء مرتين:

مرّة لأنهن نساء، وأخرى لأنهن شقيقات، كما كن نموذجاً للجنس في عصر قمعي، فصار تصويرهن تعبيراً مباحاً لموضوع محرم.

يقول في مقدمة ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة: "يجب أن يتم تناول هذه الثمرة من شجرة المعرفة، من بين الحضارات المثمرة، وإن كانت التجربة مريرة فعواقب الجهل قاسية بشكل خاص. وأجد في النهاية فرصة لإبداء ملاحظات تفسيرية حول تفاصيل النص الذي قد يفلت من ملاحظة القارئ، وأنا على ثقة من أنها ستشكل مرجعاً للمعرفة الشرقية في مرحلتها الباطنية. والدارس الذي يأخذ بملاحظات لين، سيعرف الكثير عن الشرق المسلم؛ أكثر من الأوروبيين الذين قضوا نصف حياتهم في أراضي الشرق"<sup>(٦٢)</sup>، وهذا ما فعله بيرتون في الملحق الانثروبولوجي المدرج مع كل مجلد من مجلدات ألف ليلة وليلة. وهو الذي يعنيه بالمعرفة الباطنة. والتي يحاول أن يسوغ لها المبررات حتى في مقدمته للكتاب. ومع ذلك - وللانصاف - فإن بيرتون "أمدّ المكتبة التاريخية العربية بمعلوماتٍ في غاية الأهمية عن الحياة الاجتماعية للمصريين والحجازيين، وتعدّ ملاحظاته مهمّة، وتحمل قدراً كبيراً من الدقة والمصداقية، كما نجده منصفاً حيال كثير من القضايا التي ناقشها أو الأحداث التي رآها"<sup>(٦٣)</sup>.

لكن - وبصفة عامة - فإن الجمع بين كتابات (بيرتون) عن الشرق وكتابات الغربيين الآخرين سيُلخّص الشرق في كيبولة صغيرة من المعرفة يسهل هضمها، إلا أنها معرفة جيكت بعناية فائقة؛ لا مناص من أن تُوَقَّع نساها في شركها رغما عنه"<sup>(٦٤)</sup>.

وما أنتجه بيرتون لم يرق حتى لزوجته إيزابيل Isabel Burton التي شاطرته رحلاته وكتبت هي أيضاً عن الشرق، وكانت نسخة ملطفة عنه ومؤيدة ومناصرة له، وقد ساعدته في العديد من كتاباته. كتبت إيزابيل عدداً من الكتب؛ بما في ذلك تاريخ أسفارها في سوريا وفلسطين، فضلاً عن سيرتها الذاتية. لكنها اشتهرت بإحراق قسمٍ من مخطوطات زوجها عن الشرق؛ بعد وفاته، بما في ذلك نسخته المنقحة لكتابه **الحديقة المعطرة**؛ التي كان الجزء الأكبر منها يتألف من الفصل النهائي غير المنشور والذي يتعامل مع الشذوذ الجنسي. وأدعت إيزابيل أنها تصرّفت عن إيمان صادق بأن "من بين ألف قارئ سيقراً ١٥ منهم النص بروح علمية، أمّا الباقون الـ ٩٨٥ فسيتأثرون بهذه القذرة؛ فتخشى أن تفقد سمعة زوجها الدنيوية"<sup>(٦٥)</sup>. وكما يذكر توماس أسد Thomas Assad: فإن بيرتون في محاولته لصنع شرقٍ شهواني؛ سقط هو نفسه في شرك كتاباته؛ فلم يعد بإمكانه رؤية الحياة إلا من خلال نزوة الجسد، وباضطراب بين"<sup>(٦٦)</sup>.

كانت حياة بيرتون في الشرق تشبه محاولة استعادة حلم مفقود، وكان خروجه مضطرا من دمشق بطلب من الحكومة البريطانية أشبه بكارثة حقيقية أحرست ذلك الحلم الرومانسي. وهذا الشعور أيضا مرت به زوجته ايزابيل التي كانت ترافقه رحلاته.

وبعد سنواتٍ سوف تتذكر ايزابيل بيرتون أيامَ دمشق قائلة: عند الغسق، حين كانت بوابات المدينة الكبرى تغلق والقمر يسبح عاليا براقا في الأعالي، كانت هناك ليالٍ طويلةٍ من الكلام، الكلام جميل<sup>(٦٧)</sup>.

أمّا الرحالة دويتي Doughty فنجده يكن بغضاً للإسلام والشعوب التي اختلط بها، وكتب عنها في كتابه رحلات في الصحراء العربية Travels in Arabia Deserta. وصرح بأن دين المسلمين دين الموت ويجب الإجهاز عليه بكل أبعاد الفهم الإنساني.

ودويتي (١٨٤٣ - ١٩٢٦) شاعرٌ وكاتبٌ مغامر، ومتضلعٌ باللغة الإنجليزية؛ ولد في مقاطعة شيرتون، وتلقى تعليمه في المدارس الخاصة في إسترني<sup>(٦٨)</sup>، ودرس في مدرسة البحرية الملكية في بورتسموث. ثم التحق طالباً في كلية كينجز في لندن، وتخرج في نهاية المطاف من كلية جونفيل في كامبريدج عام ١٨٦٤<sup>(٦٩)</sup>. إن حمولات كتابه بمجلديه الضخمين توحى بأنه يتحدث عن مجمل حياة العرب، وحين يضطر إلى ذكر سوريا وغيرها يذكرها وكأنه يتحدث عن أرض مسيحية تختلف تماما عن الجزيرة العربية التي رحل إليها<sup>(٧٠)</sup>.

والواقع فإن وجهات نظر دويتي تمثل المراحل الأخيرة من مراحل تشكيل نمطية الاستكشافات الرحالة الفكتوريين المتأخرة<sup>(٧١)</sup>.

اشتهر في كتابه (رحلات) في شبه الجزيرة العربية في عام ١٨٨٨، وهو عملٌ في مجلدين، "مع أن كتابه في البداية لم يكن له تأثير كبير على الساحة الثقافية البريطانية، إلا أنه أصبح ببطء من المراجع المهمة في أدب الرحلات، وهو يساوي الكثير من حيث لغته ومحتواه، وقد تمت إعادة نشره في العشرينات. وميزة الكتاب كونه فرزا هائلا لرحلات دويتي من خلال الصحارى العربية. ومكتوب بأسلوبٍ رصين، لكنه يستند إلى حدٍ كبير على الكتاب المقدس؛ نسخة للملك جيمس.

لكن صورة دويتي لا تظهر جليةً إلا بعد معرفة دوافعه الدنية التي دفعته للرحيل إلى الصحارى العربية. كان الدافع الأساسي وراء القيام برحلته - عبر شبه الجزيرة العربية - رغبته في فك رموز الكتابات المنقوشة على خرائب (مدائن صالح) لاعتقاده بأن لها دلالات توراتية.

وبالفعل فقد أشار في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه ( الصحراء العربية ) إلى أن اهتمامه الشديد بالبحث التوراتي هو الذي جعله يخاطر بنفسه ويقصد إلى تلك الخرائب<sup>(٧٢)</sup>.

يقول دويتى متحدّثاً عن بدو الصحراء العربية: في حياة هؤلاء الإعراب يمكن أن نسمع في أحاديثهم صدى اللغات العابرة، وأن نلمح في عاداتهم أساليب حياة قديمة تتبعث أمام أعيننا من جديد فنجدنا وكأننا عدنا القهقري إلى أيام القبائل العبرانية، ومن هنا نصبغ أكثر قدرة على قراءة العهد القديم بفهم مختلف زودتنا به تلك التجربة الحية.

ولكن هذه التجربة الحية، لابد - كيما تصبح جديرة بالاحترام - من أن تكون ذات ارتباط وثيق بالماضي المسيحي وتقاليده، أما إذا كانت معتقدات وعادات أهل هذه التجربة أعراب اليوم، مختلفة عما ينشده الأوروبي، أو كان لها مفاهيم مغايرة لمفاهيم المشاهدة التوراتية التي يراد إحيائها من جديد، عندئذ يتحتم إنكار هذه التجربة ورفضها لأنها تخلخل الصورة الراسخة في ذهن الأوروبي، ويصل رفض ( دويتى ) إلى حد التعصب البالي؛ الذي يذكرنا بتعصب اللهجة الصليبية ومقولاتها<sup>(٧٣)</sup>.

أمّا الرحالة إدوارد لين<sup>(٧٤)</sup> . E.W.Lane فيصف مصر الحديثة بأنها مخزنُ السحر والغموض، وما يتصل بعلم التنجيم والخيمياء، والحشيش والأفيون، والسحرة؛ الذين يرقصون الأفاعي، والمشعوذين، والراقصين في الساحات العامة، والأفعال الشاذة الغربية التي تتحدى الخيال... كان هناك على الدوام البغض والكراهية العتيقان المغلّفان بالحس الأخلاقي والتعصب الديني.

وكأن لين في هذا أتى لحبصي مثالب العصر في المجتمع المصري الذي فعلا كان غارقا في الانكسار والتخلف بعد حروب وانقسامات داخلية عانى منها المجتمع المصري ما عانى من فقر وتخلف وظلم استمر لقرون، لكن البؤر التي ركز عليها لين هي بالقطع ليست كل البؤر التي تمثل المجتمع المصري آنذاك؛ لكنه لم يشر إليها إلا نادرا في كتاباته.

وبخصوص ما كتبه لين عن ألف ليلة وليلة: فقد ظهرت الترجمة الجديدة من حكايات ألف ليلة وليلة في عام ١٨٣٩ واحتوت الترجمة على جزء من الحكايات الكاملة، والقسم الآخر حكايات قصيرة كانت عبارة عن ملاحظات نُشرت في عام ١٨٤٥ بشكل منفصل كحكايات عربية. وهي التي اعتمدها عام ١٨٨٣ ستانلي تحت عنوان "المجتمع العربي في العصور الوسطى".

وهذا ما حدا ببيرتون نفسه أن يوجّه نقداً لادعا ل لين قائلاً: لم يحرز إدوارد لين، الذي كان مثلهفأ ومتطرفاً نجاحاً في الترجمة الجديدة لحكايات ألف ليلة وليلة، حيث كان هناك أربعة إصدارات باللغة

الإنجليزية. ومن منتي حكاية أغفل النصف تقريباً ... والأسوأ من ذلك أنه حوّل بعضَ الفصول إلى تعليقاتٍ؛ فقدم الشعر عن طريق النثر مهملاً المتن، ولم يحفل بدلالات المعجم، فتشوّهت صفحاته بسبب العديد من الأخطاء الصيبانية<sup>(٧٥)</sup>.

ولين في كتابه ذاك يدقّق في عادات وتقاليد المصريين المعاصرين له، ويفرط في الحديث عن شريحة الغوازي والعوالم في المجتمع المصري، وكأنه أيضاً أنفق جُلّ رحلته لتتبع هذه الفئة من المجتمع. فهو يصف بدقة مفرطة أخبارهم وصفاتهم وأماكنهم وأزيائهم وحلبهم، ناهيك عمّا وصفه أيضاً من أمور أخرى جسدية لا نريد الخوض فيها في هذا المجال<sup>(٧٦)</sup>.

ويقول دانيال مارتن: " لقد أمضى إدوارد لين، على سبيل المثال، وقتاً طويلاً في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وكتب في النهاية وصف عادات وتقاليد المصريين المعاصرين، ولكن مجمل كتاباته - في حالة فرض حسن النية فيما ركز عليه مظاهر الانحراف الأخلاقي والسلوكي - إنما هي كتابات اثنوغرافية وصفية؛ تقتصر إلى التحليل، وهي أشبه بطريقة مختزلة لعلم الإنسان، ودليل لمن يزعم السفر إلى الشرق. من دون أن تحتوي على بعد تحليلي معمق"<sup>(٧٧)</sup>.

كان لين يشبه سلفه بيرتون تماماً وهو يصف نفسه برجل الإمبراطورية؛ الذي تدرب في جيشها، وتعلم لغات مستعمراتها، وعبر عن مفاهيمها ومعتقداتها الإمبريالية. ولكن يبدو أنه كان يعبر عن تلك المفاهيم بطريقة مجفلة، وكان لا بد أن يلام على هذه الخطيئة، فتعبيره الواضح الفاضح لنزوات عصره ( هو ) كان يشكل تهديداً للبيروقراطية الحذرة التي تؤثر الكتمان<sup>(٧٨)</sup>.

وهذه الازدواجية التي نراها لدى كل من لين وبيرتون هي عينها الازدواجية التي نجدها لدى الفرنسي أنطوان غالان Antoine Galland (١٦٤٦ - ١٧١٥) الذي ترجم قبلهما كتاب الليالي، من حيث ازدرائه ميل قرائه للنصوص المخلة التي كان يترجمها.

إنّ الصور التي اشتقها غالان من كتاب ألف ليلة وليلة هي التي شهرته بعملٍ بهر الأوروبين؛ على الرغم من كونه أدنى إنتاجه قيمةً، وأبعده تمثيلاً للأدب الذي انكب على دراسته. ولقد سخر من الطريقة التي كتب بها قصص ألف ليلة وليلة، وذكر أنه كان يتسلى بكتابتها ليروح عن نفسه من عناء يوم طويل قضاه في الدراسة الأكاديمية. إلا أنه أحس بجرح أصاب كبرياء العالم في داخله. ومع ذلك فلم يكن ليستخفّ بهذا الإقبال الشعبي، وقد اعترف لصديقه كوير بأنه يتطلع إلى إسعاد الناس لا إلى تعليمهم<sup>(٧٩)</sup>. والواقع فإن هذا الإسعاد في حقيقته هو الإسعاد الحاصل في نزع ما في جيوبهم من مال تهفو إليه نفسه، كما سنرى الحال لدى بيرتون أيضاً.

فبيرتون أيضا أدهشته الحماسة التي قبولت بها ترجمته لـ (ألف ليلة وليلة)، لكن سنرى حقيقة هذه الدهشة فيما كتبته زوجته عنه بسخرية:

كنت أعرف أن هذا الكتاب الذي كان جاء نتيجة لمرضه خلال العامين الأخيرين من حياته، لم يكن بمستوى أعماله السابقة. لا ينبغي لي أن أجروء على حرق سيرة ذاتية، التي كتبها بنفسه.

يجب أن يراني الناس بوصفي قاضياً، لأنني كتبت معه، ومن أجله نسخت له كتاباته في أول ستة وعشرين عاماً من حياة زوجنا الثلاثين، حتى أنهكت نفسي، إلى أن جرى تسليم "الليالي العربية" إلى ناسخ آخر، وكان المال هو الحافز الذي دفعه إلى إتمامها ونشرها.

وكان يقول في مزاح صادق "لقد جاهدت لمدة سبعة وأربعين عاماً، ولم أقابل بإطراء إطلاقاً، ولم أجد ما استحقه من شكر، بينما وأنا أترجم كتاباً مثيراً للشك في شيخوخي، وأقوم على الفور بإعداد ستين ألف جنيّة. الآن بعد أن عرفت أذواق إنجلترا، أجدني احتاج إلى هذا المال.

ثم تستطرد ايزابيل قائلة " وكان بيرتون يعلم برغبتني في أن أحرق مخطوطات الكتاب. كما فعلت بسواها بعد مماته<sup>(٨٠)</sup>.

ومن الرحالة الآخرين الذي كان لهم دور في الكشف عن الشرق تاريخاً وحضارة؛ مع انغماس في تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية، **توماس لورانس T.E. Lawrence**. والواقع فإن لورنس لم يشهد فترة طويلة من العصر الفكتوري؛ إلا على مدى الشق الأول من شبابه، لكنه في الحقيقة يعبر أبلغ تعبير عن ذلك العصر وتطلعات ساسته ومفكره نحو الشرق. في حين ان ثقافته وأفكاره تنتمي إلى ذلك العصر؛ مع نفرة واضحة من السلوك البرجوازي لمجتمع إنكلترا آنذاك.

ولد توماس إدوارد لورانس في مقاطعة ويلز عام (١٨٨٨ - ١٩٣٥)<sup>(٨١)</sup>. وهو باحث آثار وضابط في الجيش البريطاني ودبلوماسي وكاتب. اشتهر بدور الاتصال خلال حملة سيناء وفلسطين والجزيرة العربية ضد الإمبراطورية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

ولد لورنس من زواج غير شرعي في ويلز، في أغسطس ١٨٨٨ لـ توماس تشابمان وهو نبيل أنجلو إيرلندي، وأمّه سارة مربية اسكتلندية<sup>(٨٢)</sup>، ترك أبوه زوجته وعاش معها واستولدها خمسة ذكور<sup>(٨٣)</sup>.

كان لورنس في شبابه يشعر بالعزلة؛ نظراً لكونه مولوداً غير شرعي؛ فمن الصعب أن يأمل في تحقيق القبول الاجتماعي والنجاح الذي يمكن أن يتوقعه المولودون الشرعيون<sup>(٨٤)</sup>. وكان مفتوناً منذ شبابه

بالقرون الوسطى وكتب عام ١٩٢٧ يقول: أن كتاباته عن العصور الوسطى طريقة للحلم بالفرار من إنجلترا البرجوازية" (٨٥).

في عام ١٩١٠ "وانته الفرصة ليصبح عالم آثار في الشرق الأوسط، بتكليف من المتحف البريطاني. وكانت تلك الرحلة شكلاً من أشكال المنح الدراسية في كلية مَجْدِلِين.

وفي ديسمبر ١٩١٠ أبحر إلى بيروت وعند وصوله إلى جبيل، شرع في تعلم العربية، ثم ذهب للعمل في التنقيب؛ تحت إمرة ليونارد وولي من المتحف البريطاني، حتى عام ١٩١٤. ثم انتقل للعمل في مصر (٨٦). ومع مرور الأيام أصبح من أفضل المستكشف في المنطقة، بسبب معرفته المتنامية باللغة العربية، واستعداده للتداخل مع طبقات المجتمع. وبسبب أسلوبه الملون في معالجة المشاكل مما جعله شخصية شعبية (٨٧).

والواقع كان لورنس الظهير السياسي للحكومة البريطانية في الجزيرة العربية على الخصوص. وتقاريره عن المجتمعات العربية التي عاش في كنفها تكاد تخلو من اتهامات صريحة بالدونية، لكنها تحمل في طياتها هذا الطابع. ومع ذلك كان يعاملهم على أنه البطل الأبيض المخلص لهم من حكم الأتراك العثمانيين؛ كما يدعي. يقول لورانس:

"لقد انتدبتُ للعيش مع هؤلاء العرب كغريب عاجز عن مجاراتهم في التفكير، مجبر على تدريبهم وتوجيههم في الاتجاه الذي يتفق مع مصالح بريطانيا المتحاربة مع عدوهم. وإذا كنت قد عجزت عن تفحص شخصيتهم، فقد نجحت في إخفاء شخصيتي عنهم واستطعت أن أندمج كلياً في حياتهم دون احتجاج ولا انتقاد" (٨٨). فلورنس لا ينفك يصف هؤلاء الذي وثقوا فيه وأفسحوا له المجال للعيش بينهم بالدونية على الرغم من ملاحظات إعجاب تأتي منه أحيانا بوصفه سيذا يمتدح خادمه. فالصورة التقليدية حاضرة في ذهنه بوصفه "الشرقي والشهواني .. وبينما تكون هذه والشهوانية المفترضة موضع تعاطف (لورنس) حين يذكرها في معرض حديثه عن العرب (لمأربه فيهم)، لكنها تصبح مثيرة لفرعه إذا أشار إليها وهو يذكر الأتراك الذين كان يكرههم" (٨٩).

ومن جانب آخر كان عمل لورنس الحقيقي الادعاء بأنه ملهم الثورة العربية، في حين الثورة آنذاك كانت قائمة على الرغم من ضعفها وتشتتها. لكنه حاول أن ينزع عنها طابع الثورة ليحولها إلى جهد سياسي عسكري تابع لبريطانيا. لكن سرعان ما تبين أن الخديعة الكبرى هي ليست للورنس فحسب وإنما هي خديعة صدرت عن الحكومات الأوروبية للعرب بعد انتهاء الحرب لصالح الحلفاء.

فالإنكليز "نقضوا عهدهم للعرب وتكروا لهم ولمبادئ الرئيس الأمريكي ولسن في حق الشعوب بتقرير مصيرها، فحجّبوها عن أعين الرأي العام العالمي تحت حجة الانتداب. وأما مجهود جيش الثورة العربية والذي اعترف به كبار قادتهم وساستهم. فقد شوّهوه بالدعايات التي افتعلوها، وجعلوا من لورنس المسيّر لتلك الثورة؛ وبأنه هو الذي قادها ووجهها بعقله. وهكذا أدخلوا في الأذهان أن الثورة لم تكن سوى تجمعات بدو متوحشين، لا تفكير لهم بحرية ولا باستقلال سوى الذهب الذي كان ينثره عليهم لورنس. نلاحظ هذا في مجمل ما كتبه لورنس متجنباً التحدث قدر الامكان عن جيش الثورة النظامي الذي كان في الواقع عماد الثورة في معاركها المستمرة، ونجحت هذه الدعاية إلى مدى بعيد، بعد أن كررتها عشرات الصحف والمجلات"<sup>(٩٠)</sup>.

مع اعتراف لورنس في نصوص محذوفة من كتابه **أعمدة الحكمة السبعة**: بأنّ الثورة كانت حرباً عربية خالصة، خاض غمارها العرب جنوداً وقادة لتحقيق هدف عربي في بلادهم. وهذا النجاح لم يعتمد إلا على قليل من مساعدة خارجية قدمها البريطانيون في الثورة"<sup>(٩١)</sup>.

ويقول بأن المتاعب التي عانى منها" ما كانت لتعني شيئاً، نظراً لعدم اكتراثي بما هو جسدي، وإنما هناك الخداع المرهق الذي اضطررت إلى أن أحمل نفسي وزره وهو ادعاء قيادة ثورة وطنية لعنصر آخر بعد أن لبست لها لباساً لا عهد لي بمتله من قبل، مع يقيني بأن الوعود التي أطلقناها للعرب لن تكون لها أية قيمة عملية فيما بعد"<sup>(٩٢)</sup>.

"ولربما أحس لورنس من وقت لآخر، بعبثية مثل ذلك الادعاء وبالمفارقة المضحكة في ما يعمل، وأدرك أن المرء قد يكتشف أثناء قيامه بدور السيد بأن القدر الساخر قد جعله هو الأسير.

وهكذا نجد عرب (لورنس) هم « غرباء»، وتعامل المرء معهم تكتنفته المخاطر، فهو بين أمرين: إما أن يصبح أسير عنادهم ومشاكستهم، أو يخضعهم بالقوة، إلا أن الإجراء العنيف قد يؤدي بصاحبه إلى نتيجة مغايرة قد ينتهي به إلى السقوط في الفراغ المخيف؛ فلا هويته بقيت على وضوحها، ولا هو تمكن منهم، ولا هم غيروه، وإذا به قد انحدر إلى مصاف الضياع"<sup>(٩٣)</sup>.

ولم يكن في نية الرحالة المنتكرين أن يندمجوا في حياة وثقافة من كانوا يقلدونهم: فهم كلما ازدادوا اقترباً من هؤلاء ازدادوا إحساساً بأنهم مختلفون عنهم وأنهم متفوقون عليهم، وقد دفعهم هذا الإحساس إلى وضع صفات لكيفية التعامل مع أهل الشرف!. فبيرتون يقول في المصريين:

يجب أن يحكموا بالطريقة التي حكم بها ( سير شارلز نابيه) السند، أي أن يوضعوا باستمرار تحت المراقبة، وأن تحكمهم سلطة عسكرية، وينزع سلاحهم، وتحظر تجمعات رجالهم. في حين يقول لورنس: وإنَّ سِرَّ التعامل معهم أولاً وأخيراً: ألا تتوقف عن دراستهم، وأن تأخذ حذرهم، وألا تلقي الكلام أمامهم على غواربه، وأن تراقب نفسك وأقرانك طيلة الوقت، وعليك أيضاً أن تسمع كل ما يقال، وتتحقق كل ما يجري في الخفاء، وأن تنقش في شخصياتهم، وتكتشف أدواقهم ونقاط ضعفهم، وأن تحتفظ لنفسك بكل ما ينتهي إلى علمك. لقد بُعثت إلى العرب كغريب ولم أقدر على أن أفكر مثلهم أو أتبنى معتقداتهم، بيد أنني وإن كنت قد أخفقت في اصطناع شخصيتهم فقد استطعتُ على الأقل أن أخفي شخصيتي"<sup>(٩٤)</sup>.

إن ما مارسه الرحَّال الإنكليزي من خداع، في تظاهره بأنه شرقي سبَّب له أحياناً تمزقاً نفسياً شديداً الوطأة، وقد وصف لورنس هذه الظاهرة بقوله: إن قيامي خلال هذه السنين بارتداء لباس العرب وتقليد نمط تفكيرهم أبعدني عن ذاتي الإنكليزية؛ إلا أنني في الوقت نفسه لم أستطع أن أدخل في الجلد العربي؛ فالأمر كله لم يخرج عن كونه تكلف يكاد يضع المرء على حافة الجنون وهو ينظر إلى الأشياء من خلال رؤيتين وثقافتين متباينتين في وقت واحد"<sup>(٩٥)</sup>.

إنَّ العبارات التي وصف فيها لورنس المجتمعات العربية إنما هي محاولة تشكيل صورة نمطية ينقلها إلى ذهن الأوربي على الخصوص. لكنه لا ينقلها بوصفها انطباعات شخصية بقدر ما يجعلها مقررات ثابتة مفروغ من صحتها، ولا مجال للأخذ بنقيضها. وهكذا نرى كيف تشغل الفيلولوجيا النصومية في رسم معالم أمم كاملة تطرح إلى مسامح القارئ الأوربي، بوصفها مسلمات أتت من عين فاحصة.

أنا - في حالة لورنس - بصدد رحالةٍ يقتحم المجال السياسي على الخصوص؛ فهو خارج نطاق الأدب أو القصص التي تخاطب ذهن المتلقي العادي، لكنه في النهاية ينتهي إلى ذات النهاية التي ينتهي إليها الرحالة الذي لديه ميول أو جهود أدبية في قضية تصنيع صورة الشرق، والذي يعزِّز ذلك قطعية مقرراته - التي كان يقدمها على شكل تقارير للحكومة البريطانية - ما كتبه لاحقاً تحت مسمى ( أعمدة الحكمة السبعة Seven Pillars of Wisdom) فالعنوان يكفي ليدل على التعالي الذي

يضمه أو يعلنه لورنس، فأولاً: هي أعمدة حكمة مقدسة؛ مأخوذة من سفر الأمثال Proverbs في العهد القديم؛ بحسب نسخة الملك جيمس؛ كما يذكر لورنس نفسه في رسائله<sup>(٩٦)</sup>. وثانياً الحكمة لها مراتبُ قطعية؛ لا تأتي إلا من حكيم عارف، لذلك فأحكامها ومقرراتها لها سطوة وحضور شاخص؛ له ما يشبه القدسية في أذهان السامعين؛ وإلا فمن ذا الذي يتجرأ على الحكمة وينال من صدقها!.

إنَّ استعراضَ نماذجِ الرحالةِ الفكتوريين وتحليل سلوكهم وخطابهم عن الشرق عملٌ واسع ومضنٌ في الآن نفسه، لكن من الإنصاف أن نذكر نمطية أخرى كان لها موقف مغاير عن الشرق، ومثلت نقداً لمرامي قسم من الرحالة آنذاك، ومن هؤلاء: ويلفريد بلننت Wilfred S. Blunt<sup>(٩٧)</sup>. وقف بلننت موقفاً ناقداً ليس من الرحالة الذي عاصره أو الذين سبقوه فحسب وإنما من سلوك الحكومة البريطانية تجاه الشرق بعامة؛ بما في ذلك سياستها في الهند والشرق الأوسط. وما قدمه من ملاحظات ونصائح لحكومته لاقت رفضاً؛ لكنها ما لبثت أن تبيّنت في رؤية بلننت صواباً ومواقف متفحصة وانه ذو نزعة منصفة وسلوك إنساني؛ يتعارض مع الموقف النفعي للحكومة البريطانية، مع أنه في الوقت نفسه لم يكن يتخلّى لحظة عن دعم مصالح بلاده؛ لكنه يمتاز بسلوكه النقدي.

يقول بلننت "إن السياسيين الإنجليز المشبوهين يسلكون سياسات قد يتم استنكارها من لدن أعدائهم. ومن المحتمل جداً أن يكون حجم المشكلة التي يجب حلّها يتمثل في النظر إلى مستقبل الإسلام بوضعه في مكان آخر خارج دائرة السياسة العملية، لكن هذه العبارة مناسبة، ويستخدمها الكثيرون في السلطة بيننا؛ لكنهم يتهربون من العمل أو من مسؤولية القرارات العظيمة.

ومع ذلك، فإن مثل هذه المشكلة موجودة بشكل حاد، ولا أتردد في تأكيدها، كما أن اقتراحي، سيكون موضع شك من جانب أي شخص اختلط في السنوات القليلة الماضية مع السكان المسلمين في غرب آسيا. لكن من السهل الإدراك أنَّ هناك تغييرات كبيرة وشيكة، قد تكون مشابهة لتلك التي مرَّ بها المسيحيون قبل أربعين عاماً، لذلك هناك حاجة ملحة لإنكلترا كي تدرك ذلك إذا كانت تتوي الاحفاظ بمكانتها في آسيا"<sup>(٩٨)</sup>.

"وقد أدى تعاطف بلننت مع المجتمعات الإسلامية إلى أن يتعاطف مع القضية العربية ضد التدخل الأوروبي والتعسف العثماني معاً، وبذلك كان يؤذن لما سيقوم به لورنس فيما بعد، غير أن بلننت كان

أكثر شهامة من لورنس حيال العرب، إذ كان يرى أنهم أنداد جديرون بالاحترام وينحدرون من سلالة عريقة وأنهم نبلاء الصحراء<sup>(٩٩)</sup>.

يقول بلنت: " وحين نشاهد أولئك العرب وهم بين خيولهم وإبلهم، نلمس جمال حياتهم النبيلة الغنية بالتقاليد الرفيعة والمشبعة بعناصر البطولة وذكرياتها، مقارنة بقذارة المستعمرين الفرنسيين ومخازيرهم. وإنه من العسير أن يغيب عن بالنا التباين الكبير والمفارقة العجيبة التي جعلت من الفرنسيين أسيادا، ومن العرب خدما لهم"<sup>(١٠٠)</sup>.

"وعلى العكس من بيرتون وداوتي ولورنس؛ لم يغير بلنت على مر الأيام من نظريته الأولى إلى صفات البدو، ولا من تعاطفه معهم، إذ بقي على إعجابه بورعهم الديني وبنظرة المساواة التي كانت تسود مجتمعهم؛ حيث كان شيوخهم ذوو المحند يتلقون احترام الأفراد بتواضع جم بعيدا عن مظاهر السلطان والأبهة الفارغة.

والحقيقة فأن بلنت كان مع مرور الزمن يشبه الشيخ العربي بالنبيل الانكليزي، وكان تعاطفه مع العرب ينبع، إلى حد كبير، من إيمانه بسيادة الأرستقراطية"<sup>(١٠١)</sup>.

ويقول في مقدمة كتابه أفكار عن الهند Ideas about India والذي ذيل عنوانه بعبارة عربية مفادها ( عدلُ ساعةٍ خير من عبادة سبعين سنة)<sup>(١٠٢)</sup>: " هناك مسألة قد تكون شخصية، لكنني استغل هذه المقدمة لأبين رأيي بوضع كلمات. فمن بين منتقدي كتاباتي عن الهند، هناك البعض ما ينفكون عن محاولة دحض حججي، لكن يملكهم اليأس فيلجأون إلى مهاجمتي شخصياً؛ بحثا عن مصالحهم وسلامتهم. إنهم سياسيون يتخاصمون فيما بينهم، واثر إطلاعهم وزيارتهم للهند، لا يهدفون إلى إجراء تحقيق صادق في المظالم القائمة، ولكن من أجل إثارة نزاعات جديدة والإمعان في إلحاق العار بإنجلترا"<sup>(١٠٣)</sup>.

" دعونا فقط نأمل أن المسؤولين هم حمقى لا يرون بصورة صحيحة فهم أشبه بسجناء الكهف. ونتيجة ممارساتهم هي نفسها في كل مكان، فلا أرى فرقا كبيرا بين جعل هؤلاء الهنود يدفعون ثمن الكاتدرائية في كلكتا، وبين ما يفرضونه من ضرائب على البلغار من أجل قصر على مضيق البوسفور. يريدون استهلاك هذه الإمبراطوريات العظيمة ويختصرونها في حكوماتها المركزية؛ والطريقة الوحيدة لجعلها سياسة بريطانية ناجحة السماح لهذه الشعوب بان تحكم نفسها بنفسها قدر المستطاع"<sup>(١٠٤)</sup>.

وينتقد بلنتُ العقليَّة الراديكالية في السياسة البريطانية قائلا: "إن السكان الأصليين - كما يسمونهم - هم جنس من العبيد، متجعين، غير سعداء، ونحيفين بشكل رهيب، وهذا يتمثل أيضا في العبودية المصرية التي يفرضونها. إن إيماني بالمؤسسات البريطانية يشعرني بأنها ستلقى ضربة مباشرة، لأن هذه الشعوب تعيش حالة مأساوية وستنفجر عاجلا أم آجلا. إن حجة تطوير الهند تفضحها الممارسات التعسفية التي تشهدها تحت طائلة الاحتلال البريطاني. وهكذا ممارسات ومعدلات فقر متدنية ستحولهم إلى أكلة لحوم البشر، ولا أفهم كيف تنهب بريطانيا أموالهم وهم يتضورون جوعا في مقابل ما تلقي عليهم من قذائف" (١٠٥).

كان لكتاب بلنت أسرار الاحتلال الإنكليزي لمصر *Secret History of the English Occupation of Egypt* أثر كبير في رسم صورة حقيقية ومؤلمة لحياة الشرق العربي الواقع آنذاك تحت طائلة الفقر والتخلف والاحتلال. وفي الكتاب تفاصيل مروعة عن حجم الاعتداء والظلم الذي وقع على الشعب المصري تحت نير ذلك الاحتلال. وهذا كله مسكوت عنه في كتابات الرحالة الآخرين الذين - كما رأينا؛ إما مغرمون بشرق خيالي ساحر يلبي نزواتهم أو شرق متخلف يبالغون في تضخيم تخلفه وشروبه ليسوّغوا كل ما يفعلونه به من أفاعيل.

### المصادر العربية

- أثر العرب في الحضارة الأوربية. عباس محمود العقاد.. دار نهضة مصر. القاهرة. د.ت.
- أساطير أوروبا عن الشرق. رنا قباني. دار طلاس. دمشق. ط١. ١٩٩٣.
- الاستشراق والقرون الوسطى. جون م. غانم. ت. عبدة عودة. هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة. ط ١. ٢٠١٢.
- الاستشراق. ادوارد سعيد. ترجمة محمد عناني. دار رؤية. بيروت. ٢٠٠٦.
- الاستشراق. صورة الغرب في الآداب والمعارف الأوربية. ضياء الدين ساردار. ترجمة فخري صالح. ط١. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة. ٢٠١٢.
- الأعلام. الزركلي. ج٣. ص ٣٨. دار العلم للملايين. بيروت. ط١. ٢٠٠٢.
- أعمدة الحكمة السبعة. ت.أ. لورنس. منشورات المكتب التجاري للنشر والتوزيع. ط١. بيروت ١٩٦٣.
- ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي. د. محسن جاسم الموسوي. منشورات دار الإنماء القومي. بيروت. ط١. ٢٠٠٧.
- بين القطيعة والخلف، الحقيقة في الخطاب العربي المعاصر. مقداد نديم. دار الحداد للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٩٩.
- تطور صورة الشرق في الأدب الإنكليزي. ناجي عويجات. ت.تالا صباغ. المنظمة العربية للترجمة. دبي. ٢٠٠٧.

- تمثلات الشرق في أدب الرحلات الفرنسية. ليلي الجباري. مجلة العلوم الإنسانية. بيروت. المجلد ١. ٢٠١٧
- التتوير الآتي من الشرق. اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي. جي. جي. كلارك. ص ٢١. ترجمة شوقي جلال.
١. عالم المعرفة. الكويت. ٢٠٠٧.
- دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي. سمير الخليل. دار الكتب العلمية. ط١. ١٩٧١.
- رحلات في بلاد العرب. عبد الرحيم والوهاب. مجلة الفصيل. عدد: ٢٨٦. ٢٠٠٠.
- الرحلة إلى الشرق. رحلة الأديباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. بيير جوردا. تمي عبد الكريم.
- الاهالي للتوزيع. ط١. ٢٠٠٠.
- رحلة بيروت إلى مصر والحجاز. ج١. بيروت. ت عبد الرحمن عبد الله. الهيئة المصرية للكتاب. ط١. ١٩٩٤.
- روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية. ج٢. عبد العزيز عبد الغني. دار الساقى. بيروت. ٢٠١٣.
- الرومانسية دونكان هيث، جودي بورهام ترجمة: عصام حجازي. مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام المجلس الأعلى للثقافة القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- صورة العالم الإسلامي في العالم الأوربي. رونسون. دار الطليعة. قطر. ١٩٧٠. الاستشراف في أزمة. أنور عبد الملك. مجلة معهد الإنماء العربي. عدد ٣١. بيروت. سنة ١٩٨٩.
- قافلة الحبر : الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج. ص ١٠٩. سمير عطا الله. دار الساقى. بيروت. ط١. ١٩٩٤.
- قصة الانثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان. د. حسين فهميم. عالم المعرفة. الكويت. ١٩٨٦.
- كتابات الرحالة الأوربيين مصدراً للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة من مطلع القرن الحادي عشر الهجري حتى نهاية العصر العثماني. حورية عبد الإله. أطروحة دكتوراه. جامعة أم القرى. ٢٠١٣.
- لورنس بين الحقيقة والأكذوبة. صبحي العمري. الناشر. رياض الريس. القاهرة. ط١. ١٩٩١.
- لورنس بين الحقيقة والأكذوبة. صبحي العمري. رياض الريس. للكتب والنشر. لندن. ط١. ١٩٩١
- لورنس والعرب: وجهة نظر عربية، سليمان موسى. عمان ١٩٦٢؛ ط ٢، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٢.
- مختارات من كتاب رحالة وأدياء فرنسيون في مصر. جون ماريه كاريه. ت سونيا نجاح. منشورات المعهد الفرنسي في القاهرة. ١٩٥٦.
- مولد التراجيديا. فريدريك نيتشه. ص ١٦٨. ت شاهر حسن عبيد. دار الحوار للنشر والتوزيع. دمشق ٢٠٠٨.
- ميشال فوكو المعرفة والسلطة. عبد العزيز العيادي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ١٩٩٤

#### المصادر الأجنبية

- A month at Constantinople. Albert Smeth. Boston: Bradbury & Guild. Washington street. 1852.
- An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians, Edward William Lane ' Vol. II; (London, Charles Knight & Co., 1836)
- British Travelers and Egyptian 'Dancing Girls': Locating Imperialism, Gender, and Sexuality in the Politics of Representation, 1834-1870 by Robin Bunton. B.A. (Hons.), University of British Columbia, 2017



- Burton, Byron Farwell (New York, 1963) Published by London, Longmans, 1963 (1963).
- Cultural Creation in Modern Society. Lucien Goldmann, (Oxford, 1977)
- David George Hogarth, The life of Charles. Doughty, Publisher: Oxford University Press, 1928.
- Doughty, Charles Montagu A Cambridge Alumni Database. University of Cambridge . 1977.
- Europe and Islam (Berkeley: Djait, H., University of California. Press, 1985)
- Heart Beguiling Araby: The English Romance with Arabia. Kathryn Tidrick. Tauris Parke Paperbacks 2009
- Ideas about India., wilfrid Blunt, kegan paul, London, trench, & Co.I, paternoster Square. 1885.
- Islam in The English literature. Edition 2. Byron Porter Smith , S. B. 1977.
- Islam Obscured The Rhetoric of Anthropological Representation. Daniel Martin p. 139. Newgen Imaging Systems Ltd., Chennai, India. First edition: January 2005
- John e. Mack, Prince of our Disorder: The Life of T.E. Lawrence (Boston: First Harvard University Press, 1998).
- Lawrence's Medievalism. Allen, M.D. from The T.E. Lawrence Puzzle edited by Stephen Tabachnick, Athens: University of Georgia Press, 1984.
- Letter of T. E. Lawrence, edited by David. Garnett. Jonathan Cape. London. 1939.
- Loving; Living; Party Going. Green, Henry. Penguin Books, (Introduction by John Updike.1978.
- Reading Orientalism. Graham Huggan. Research in African Literatures, Vol. 36, No. 3. Indiana univercty press .
- Representation, 1834-1870 by Robin Bunton. B.A. (Hons.), University of British Columbia, 2017.
- Secret History of the English Occupation of Egypt. Wilfrid Blunt, (Being a Personal Narratiue o f Events) (London, 1895.
- Seven Pillars of Wisdom. T. E. Lawrence: A Triumph. (London, 1935; 1965).
- T. E. Lawrence: from dream to legend. Wilson, Jeremy. 2016
- The Boy in the Mask: The Hidden World of Lawrence of Arabia. Benson-Gyles, Dick. The Lilliput Press. 2016.
- The Cambridge Guide to English Literature. Fourth Impression. 1985.
- The Future Of Islam, Wilfred Alfrid Blunt. London. Kegan Paul, Trench & Co, 1882.
- The Human Sciences and Philosophy. Lucien Goldmann, Jonathan Cape, London. 1969
- The Influence of a Poet: Wilfred S. Blunt and the Churchill, Warren Dockter, Journal of Historical Biography 10. London. (Autumn 2011
- The Life of Captain. Sir Richard Burton. Isabel Burton, (London, 1893,2 vols) vol. 1,1978.
- The life of Sir Richard Burton. Thomas wright. New York: G. P. Putnam's sons London Everett & CO. v1. 1906.
- The Life of T.E. Lawrence (Boston: John e. Mack, Prince of our Disorder) First Harvard University Press, 1998).
- The making of humanity. robert briffault.london. ruskin house, 40 museum street .2007.
- The One Thousand Nights And A Night. RICHARD F. BURTON Vol. The Dunyazad Digital Library. First published. London. 1885.
- The One Thousand Nights And A Night. Richard F. Burton. The Dunyazad Digital Library. First published. Vol. 1.1888.

- The Philosophy of Mathematics Education. Paul Ernst. The Falmer press. . 1993.
- The Romance of Isabel Burton. Wilkins, W. H. London. 1897.
- The Source of the Man of Law's Tale". Peter Nicholson. 1991
- The Story of Irish Menahem Mansur. Dublin. Hodges 1944.
- Three Victorian Travelers. Nancy Mickale Wight. Ruotaldge. New york. vol 1. 1978.
- Travel Literature Through the Ages, Adams, Percy G. New York. (1988)
- Travels in Arabia Deserta, Doughty, (New York:Dover, 1979), vol. I
- Travels in Arabia Deserta, Doughty, First published in 1964 by Routledge Kegan Paul Ltd, (New York:Dover, vol. I, 1979.
- Western views of Islam in the middle ages. Southern , Harvard University Press; y First printing edition (January 1, 1978)
- Women and Colonization: Anthropological Perspectives, Mona Etienne and Eleanor Leacock. New York, 1980.

## الهوامش

- <sup>١</sup> مولد التراجيديا. فريدريك نيتشه. ت. شاهر حسن عبيد. دار الحوار للنشر والتوزيع. دمشق ٢٠٠٨. ص ١٦٨.
- <sup>٢</sup> The Philosophy of Mathematics Education. Paul Ernst. The Falmer press. 1993. p.20.
- <sup>٣</sup> ميشال فوكو المعرفة والسلطة. عبد العزيز العيادي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. 1994 ص ٢٠.
- <sup>٤</sup> بين القطعية والخلف، الحقيقة في الخطاب العربي المعاصر. مقداد نديم. دار الحداثة للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٩٩. ص ٨٤.
- <sup>٥</sup> ميشال فوكو. المعرفة والسلطة، م.ن. ص ٢٢.
- <sup>٦</sup> م.ن. ص ٢٣٩.
- <sup>٧</sup>
- <sup>٨</sup> التنوير الآتي من الشرق. اللقاء بين الفكر الآسيوي والفكر الغربي. جي. جي. كلارك. ص ٢١. ترجمة شوقي جلال.
- <sup>٩</sup> ط١. عالم المعرفة. الكويت. ٢٠٠٧.
- <sup>١٠</sup> صورة العالم الإسلامي في العالم الأوربي. رودنسون. دار الطليعة. قطر. ١٩٧٠. ص ١٩٧.
- <sup>١١</sup> الاستشراق في أزمة. أنور عبد الملك. مجلة معهد الإنماء العربي. عدد ٣١. بيروت. سنة ١٩٨٩. ص ٧٠.
- <sup>١٢</sup> Reading Orientalism. Graham Huggan. Research in African Literatures, Vol. 36, No. 3. Indiana univerty press. nd. . p. 125
- <sup>١٣</sup> التنوير الآتي من الشرق. م.ن. ٤٤-٤٥.
- <sup>١٤</sup> م.ن. ص ٣٥-٣٨.
- <sup>١٥</sup> م.ن.
- <sup>١٦</sup> Western views of Islam in the middle ages. Southern , Harvard University Press; y First printing edition (January 1, 1978) p.21
- <sup>١٧</sup> The making of humanity. robert briffault.london. ruskin house, 40 museum street. 2007. p. 183
- <sup>١٨</sup> م.ن. ١٩٨٠.

- ١٨ الاستشراق والقرون الوسطى. جون م. غانم. ت عدة عودة. هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة. ط ١. ٢٠١٢. ص ٣٣-٣٤.
- ١٩ دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي. سمير الخليل. دار الكتب العلمية. ط ١. ١٩٧١. ص ٢٩.
- ٢٠ الاستشراق. صورة الغرب في الآداب والمعارف الأوربية. ضياء الدين ساردار. ترجمة فخري صالح. ط ١. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة. ٢٠١٢. ص ٥٤-٥٦.
- ٢١ Travel Literature Through the Ages, Adams, Percy G. New York. (1988), P. 53
- ٢٢ الاستشراق. صورة الغرب في الآداب والمعارف الأوربية. من. ص ٥٦.
- ٢٣ تطور صورة الشرق في الأدب الإنكليزي. ناجي عويجات. ت تالا صباغ. المنظمة العربية للترجمة. دبي. ص ٩.
- ٢٤ The Story of Irish Menahem Mansur. Dublin. Hodges.
- 1944.p 16.
- ٢٥ قصة الاثنروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان. د. حسين فهميم. عالم المعرفة. الكويت. ١٩٨٦. ص ٦٠-٦١.
- ٢٦ جيفري تشوسر Geoffrey Chaucer من رجال في القرن الرابع عشر (١٣٤٣-١٤٠٠) من أبرز الشعراء الإنجليز في العصور الوسطى، قبل زمن شكسبير، ومن كبار شعراء الهزل في الأدب الإنكليزي. لقب بـ أب الشعر الإنكليزي. من أشهر أعماله حكايات كانتبري، ألفها عام ١٣٨٦ ولم يقدر له أن يمتها. وهي تتميز بالظرافة والواقعية.
- أنظر ترجمته في: Oxford Dictionary of National Biography
- ٢٧ Islam in The English literature. Edition 2. Byron Porter Smith , S. B. 1977. P. Xxiii.
- ٢٨ See. The Source of the Man of Law's Tale". Peter Nicholson (1991
- ٢٩ أثر العرب في الحضارة الأوربية. عباس محمود العقاد. دار نهضة مصر. القاهرة. د.ت. ص: ٥٥-٥٦.
- ٣٠ Islam in The English literature. Ibid. P. Xxiii.
- ٣١ تطور صورة الشرق. من. ٩-١٠.
- ٣٢ ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي. د. محسن جاسم الموسوي. منشورات دار الإنماء القومي. بيروت. ط ١. ص ٤٢.
- ٣٣ م.ن. ٣٨.
- ٣٤ الاستشراق. ادوارد سعيد. ترجمة محمد عناني. دار رؤية. بيروت. ٢٠٠٦. ص ٢٩٠.
- ٣٥ Europe and Islam (Berkeley: Djait, H., University of California. Press, 1985), p. 29.
- ٣٦ الرحلة إلى الشرق. رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر. بيير جوردا. تمي عبد الكريم الأهالي للتوزيع. ط ١. ٢٠٠٠م. ٢٥-٢٦.
- ٣٧ Women and Colonization: Anthropological Perspectives, Mona Etienne and Eleanor Leacock. (New York, 1980) p. 175.
- ٣٨ أساطير أوروبا عن الشرق. رنا قباني. دار طلاس. دمشق. ١٩٩٣. ط ١. ص ١٩-٢٠.
- ٣٩ روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية. ج ٢. عبد العزيز عبد الغني؟. دار الساقى. بيروت. ٢٠١٣.
- ص ٢١.
- ٤٠ تمثلات الشرق في أدب الرحلات الفرنسية. ليلي الجباري. مجلة العلوم الإنسانية. ٢٠١٧. بيروت. المجلد ١. ص ٤٠-٤١.
- ٤١ Cultural Creation in Modern Society. Lucien Goldmann, (Oxford, 1977), p.76.

٤٢ The Human Sciences and Philosophy. Lucien Goldmann, Jonathan Cape, london 1969

(London, 1969), p.120

٤٣ أساطير أوروبا عن الشرق. ١٣٨.

٤٤ أنظر:

Heart Beguiling Araby: The English Romance with Arabia. Kathryn Tidrick. Tauris Parke Paperbacks 2009.

Burton. Byron Farwell (New York, 1963) Published by London, Longmans, 1963 (1963) p. 2

٤٦ أساطير أوروبا عن الشرق. م.ن. ص ٢٢. ١٩٩٣.

٤٧ رحلات في بلاد العرب. عبد الرحيم والوهاب. مجلة الفصيل. عدد: ٢٨٦. ص ٩٣. ٢٠٠٠.

The life of Sir Richard Burton. Thomas wright. New York: G. P. Putnam's sons London Everett & CO. 1906 v1. p. 38.

A month at Constantinople. Albert Smeth. Boston: Bradbury & Guild. Washington street. 1852. 13.

٥٠ م.ن. ١٩-٢١

٥١ مختارات من كتاب رحالة وأدباء فرنسيون في مصر. جون ماريه كاريه. ت. سونيا نجاح. منشورات المعهد الفرنسي في القاهرة. ١٩٥٦. ص ١٧٠.

British Travelers and Egyptian 'Dancing Girls'. Locating Imperialism, Gender, and Sexuality in the Politics of Representation, 1834-1870 by Robin Bunton. B.A. (Hons.), University of British Columbia, 2017 P.17.

٥٢ الرومانسية دونكان هيث، جودي بورهام - - ترجمة: عصام حجازي- مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٢ - ص ٢٥

٥٣ م.ن.

٥٤ أساطير أوروبا عن الشرق. ١٣٦.

Travels in Arabia Deserta, Doughty, First published in 1964 by Routledge Kegan Paul Ltd, (New York: Dover, 1979), vol. I, p. 5

٥٦ م. ن.

٥٧ ريتشارد فرنسيس بيرتون Richard Francis Burton: رحالة إنكليزي 1821 - 1890 كان والده ضابطا في

الجيش البريطاني. تعلم مبادئ اللاهوت في أكسفورد. وذهب مع الجيش البريطاني إلى الهند، فخدم الشركة الإنكليزية.

وكان قد ألم بشيء من العربية في أكسفورد. ثم اتسعت معرفته بالعربية والفارسية، وألف أربعة كتب. ودخل الحجاز سنة

١٨٠٣ م، ووضع كتابا سماه الحج إلى مكة والمدينة، يعد من أعظم المراجع عند الغربيين في موضوعه. وضع كتاب

خطوات في إفريقيا الشرقية، وأرسلته الحكومة البريطانية في بعثة لكشف منابع النيل، فكتب عن منطقة البحيرات في

أفريقيا الاستوائية. ونقل قنصلا في دمشق سنة ١٨٦٩م ومن كتبه سوريا غير المكتشفة. وترجم ألف ليلة وليلة. الأعلام.

الزركلي. ج٣. ص ٣٨. دار العلم للملايين. بيروت. ط١٥٥. ٢٠٠٢.

٥٨ صورة الشرق. م.ن. ص ٨٦-٨٧.

٥٩ رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز. ج١. بيرتون. ت. عبد الرحمن عبد الله. الهيئة المصرية للكتاب. ط١. ١٩٩٤.

٦٠ The Cambridge Guide to English Literature. Fourth Impression. 1985. p. 119

The One Thousand Nights And A Night. Richard F. Burton. The Duniyazad Library. First published 1885-1888. Vol. p.22.

٦٣ كتابات الرحالة الأوربيين مصدراً للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة من مطلع القرن الحادي عشر الهجري حتى نهاية العصر العثماني. حورية عبد الإله. أطروحة دكتوراه. جامعة أم القرى. ٢٠١٣. ص. ٩١.

٦٤ أساطير أوروبا. م.ن. ٩٢

The Romance of Isabel Burton. Wilkins, W. H. (1897). London. P. 43.

Three Victorian Travelers. Nancy Mickale Wight. Ruotaldge. New york.

٦٦ vol 1. p.51.

٦٧ قفلة الحبر: الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج. ص ١٠٩. سمير عطا الله. دار الساقى. بيروت. ط١. ١٩٩٤.

David George Hogarth, The life of Charles. Doughty, Publisher: Oxford University Press,

٦٨ 1928, p.2

Doughty, Charles Montagu A Cambridge Alumni Database. University of Cambridge.

Travels in Arabia Deserta, Doughty, (New York:Dover, 1979), vol. I, p. 11

٧٠

٧١ م.ن. ix

٧٢ أساطير أوروبا عن الشرق. م.ن. ١٥٩

٧٣ م.ن. ١٦٠.

٧٤ إدوارد لين رحالة بريطاني ولد في 1801 أظهر أول حياته موهبة في الرياضيات، لكنه هجرها ودرس النقش. ولكن

تدهور صحته أرغمه على ترك هذا الفن. انطلق إلى مصر فأمضى ثلاث سنوات، وجاب مجرى النيل مرتين، ونظم وصفا

كاملا لمصر، مع حقيبة من أكثر من مئة رسم. وقام بزيارة ثانية لمصر بين عامي في ١٨٣٣-١٨٣٥، واستقر في

القاهرة، لكنه ذهب إلى الصعيد خلال طاعون الذي ضرب مصر سنة ١٨٣٥. ألف كتاب طبائع المصريين المحدثين

Manners and Customs of the Modern Egyptians في عام، ١٨٣٦ واحتل كتابه هذا مرتبة أفضل وصف تمت

كتابته عن الشرق. ثم قام بترجمة الليالي العربية ترجمة شيقة؛ فاقت ترجمة غالان المشهورة. ثم عمل طيلة خمسة

وثلاثين عاما على تأليف معجم عربي إنكليزي - معتمدا على معجم الفيروز أبادي ( تاج العروس ) فجاء من الأعمال

الجبارة في ميدانه. واكتشف فيه - بحسب ما يقول - أن مؤلفه لم يكن أمينا في معجمه إذا لم يذكر أنه استمد معظمه من

لسان العرب. أنظر: موسوعة المستشرقين. عبد بدوي. ص ٥٢٣. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٩٣. لكن ترجمة لين

جاءت على شكل طبعات مختلفة ومتباينة وتعرضت لانتقادات حادة حتى من لدن رحالة آخرين أمثال بيرتون. كما سيرد

ذلك لاحقا. لا كما يرى عبد الرحمن بدوي في كتابه القيم موسوعة المستشرقين.

The One Thousand Nights And A Night. RICHARD F. BURTON Vol. p.8. The Duniyazad

Digital Library. First published. London. 1885-1888.

An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians, Edward

٧٦

William Lane,

Vol. II; (London, Charles Knight & Co., 1836), p. 271.

Islam Obscured The Rhetoric of Anthropological Representation. Daniel Martin p.

٧٧

139. Newgen Imaging Systems Ltd., Chennai, India. First edition: January 2005

٧٨ أساطير أوروبا عن الشرق. م.ن. ١٤٧

٧٩ م.ن. ٥٣

The Life of Captain. Sir Richard Burton. Isabel Burton, (London, 1893,2 vols) vol. 11,

٨٠

p. 442.

John e. Mack, Prince of our Disorder: The Life of T.E. Lawrence (Boston: First Harvard University Press, 1998) p.118. <sup>٨١</sup>

The Boy in the Mask: The Hidden World of Lawrence of Arabia. Benson-Gyles, Dick <sup>٨٢</sup>  
(2016). The Lilliput Press. P.22.

<sup>٨٣</sup> لورنس بين الحقيقة والأكذوبة. صبحي العمري. ص ٧٣. رياض الريس. للكتب والنشر. لندن. ط١. ١٩٩١.

<sup>٨٤</sup> T. E. Lawrence: from dream to legend. Wilson,

Jeremy. P.53. 2016

Lawrence's Medievalism. Allen, M.D.p 53–70 from The T.E. Lawrence Puzzle edited by <sup>٨٥</sup>  
Stephen Tabachnick, Athens:University of Georgia Press, 1984 page 53.

p 70-77. T. E. Lawrence: from dream to legend <sup>٨٦</sup>

The Life of T.E. Lawrence (Boston: John e. Mack, Prince of our Disorder) First <sup>٨٧</sup>  
University Press, 1998)p.62-82.

<sup>٨٨</sup> أعمدة الحكمة السبعة. ت.أ. لورنس. منشورات المكتب التجاري للنشر والتوزيع. ط١. بيروت ١٩٦٣. ص ٢.

<sup>٨٩</sup> أساطير أوربا عن الشرق. من. ١٦٨.

<sup>٩٠</sup> لورنس بين الحقيقة والأكذوبة. صبحي العمري. الناشر. رياض الريس. القاهرة ط١. ١٩٩١. ص ١٧.

<sup>٩١</sup> لورنس والعرب: وجهة نظر عربية، سليمان موسى. عمان ١٩٦٢؛ ط٢، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٢. ٢٧.

<sup>٩٢</sup> م.ن. ٣٤٨.

<sup>٩٣</sup> أساطير أوربا عن الشرق.م.ن. ١٤٤ - ١٤٥.

<sup>٩٤</sup> Seven Pillars of Wisdom. T. E. Lawrence: A Triumph. (London, 1935; 1965) p.18-19.

<sup>٩٥</sup> م.ن.

Letter of T. E. Lawrence, edited by David. Garnett. Jonathan Cape. London. <sup>٩٦</sup>

Proverbs 9:1 bible hub. James, accessed 19 June 2018. P.607 1939

<sup>٩٧</sup> ويلفريد بلنت Wilfred S. Blunt رحالة فكتوري ولد عام ١٨٤٠ في إنجلترا، لعائلة ثرية. كانت والدته كاثوليكية،

فنشأ في بيئة صارمة. تلقى تعليمه في الأكاديمية اليسوعية، وكلية سانت ماري. التحق بالخدمة الدبلوماسية في وزارة

الخارجية عام ١٨٥٨، وظل حتى عام ١٨٦٩. وأثناء خدمته التقى بالمستكشف الفيكتوري بيرتون، الذي أثار خياله. التقى

بزوجته حفيدة اللورد بايرون، السيدة آن إيزابيل. وعندما ترك الخدمة الدبلوماسية ركز اهتمامه على الشعر. سافر وزوجته

إلى الشرق الأوسط. وسجلت السيدة آن سفرهم في يومياتها، ونشرها باعتبارها أعمالا الأثنوبولوجية، مثل رحلة قبائل

الفرات (١٨٧٩)، ونجد (١٨٨١)، حصلا أثناءها على خيول عربية نقية، استوردوها لسباق الخيول، وإنشاء مزرعة

لتربية الخيول. ثم أصبح بلانت لاحقا متقلا بمسائل العالم الإسلامي، وكثيرا ما كتب جدالات سياسية بخصوص الشرق.

وتم التعامل معه بوصفه شخصية أدبية خطيرة مناهضة للنزعة الإمبريالية، لاسيما في كتابات وتقارير الرحالة المعاصرين

له؛ على الرغم من علاقته بـ ونستون تشرشل. **أنظر:**

The Influence of a Poet: Wilfred S. Blunt and the Churchill, Warren Dockter, Journal of  
Historical Biography 10. London. (Autumn 2011): p. 70-74

<sup>98</sup> The Future Of Islam, Wilfred Alfrid Blunt. London. Kegan Paul, Trench & Co, 1882 P. 3-4.

<sup>٩٩</sup> أساطير أوربا عن الشرق ١٥٠.

Secret History of the English Occupation of Egypt. Wilfrid Blunt, (Being a

.Personal Narratiue o f Events) (London, 1895) p.22

<sup>١٠١</sup> أساطير أوربا عن الشرق. ١٥٠.



<sup>١٠٢</sup> دأب بلنت على تدبيل عناوين كتبه الصادرة بالإنكليزية بعبارات عربية. ففي كتابة مستقبل الإسلام The Future Of Islam كتب تحت العنوان بيت شعر ( لا تقنطوا الدر ينثر عقده .. ليعود أحسن في النظام وأجملا ). وليس من تفسير لذلك بحسب ما نرى إلا نشره بالثقافة العربية والإسلامية ونظرته المتسامحة التي كان ينظر بها إلى الحضارة العربية على الرغم مما كانت تعانيه في وقته من تخلف وانكسار. لكن نظره الثاقب كان يدرك مدى العظمة والسمو الذي في تلك الحضارة التي يكاد يتماهى في حبه لها.

<sup>١٠٣</sup> Ideas about India., wilfrid Blunt, kegan paul, London, trench, & Co.I, paternoster Square. 1885. p. 21.

<sup>١٠٤</sup> Ideas about India. xvi  
<sup>١٠٥</sup> م. ن.